

محمد بابا حامد

الجنوح إلى المفتوح

معالم وسط الرمال

دائرة الثقافة - الشارقة 2023

توطئة

من التصحيف إلى التأليف

يباشر الأستاذ المؤلف محمد بابا حامد تجربة الانتقال بالنص من التصحيف إلى التأليف، ضمن سياق يستوعب المتصل المنفصل بين لغة الصحافة الوصفية الانطباعية ولغة الكتاب الرائي لما يتجاوز ذلك.

هذا النمط من التأليف يقتضي الانزياح بالنص من عالم البسائط المفاهيمية المقرونة بلغة الصحافة البيضاء، إلى عالم الشذرات المنفرجة المسافرة في دروب الاختصار والانطباع دون أن تفقد اللمسة الأدبية، وهذا المعنى يتناغم مع تأليف ضروب من الأشكال الأدبية التي يتسع لها الكتاب المطبوع، فيما يمكن تجييره على التناصتات والتراسلات بين أنماط متعددة من الكتابة.

في هذه المصنوفة الماثلة من المقالات يجد المؤلف درباً يمد به إلى المفتوح المتعالي من الفراغ المكاني.. ذلك الذي يتحول إلى أنساق جمالية وفتوح مشهدية رافعتها التمازج بين التجربة الذاتية القادمة من عالم البراري، إلى المشاهدات الحاضرة في المشهد البصري المكاني الباذخ بمحمولاته الاجتماعية والثقافية والفنية.

«الجنوح إلى المفتوح» ليس عنوان إشارة دالة على الكتاب فحسب، بل أيضاً رؤية تمنح المشهدية البصرية قيمة خاصة ومخصوصة، فشواهد المنطقة الوسطى تقدم المفردات الضامنة لمثل هذا التنقل في معارج المعنى.

وبهذه الإضافة نعيد الاعتبار لمعنى التأليف المتنوع الذي يتماهى حيناً مع أصول كتابية صحفية، وأخرى مع الإعداد اللماح الذكي في استعادة الأفكار التي تتحد في مبتغاها وإن تفرقت في الاجتهاد، وكذا مع التناسات الوجدانية بين أشكال الكتابة وأنماط الفنون البصرية والسماعية.

د. عمر عبد العزيز

تقديم

في رحاب الصحراء

الرحلة في المكان وفي أثر الإنسان و عطاءه رحلة مستمرة، تفتح الكثير من الأبواب على جغرافية القلب والروح، ممتدة في مختلف تفاصيل الحياة، وفي المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، ثمة مشهديات عديدة، نابضة بالحكايات، بالصور، برائحة النبع والماء ومسارب الأفلاج، وعراجين النخل والكتبان والأرض؛ عادات الأهالي وموروثهم وتاريخهم وإنجازاتهم الحاضرة وطموحاتهم المستقبلية.

في هذا الكتاب نطالع صوراً مختلفة من الحياة ونرصد جوانب متعددة من مسار التنمية في هذه المنطقة عايشتها كصحفي من خلال مشاهدات ترصد حكايات الناس والمكان وتفاصيله الثرية وتستطلع الأمكنة المليئة بالآثار والتاريخ والشواهد، وتسير في الوهاد والأودية والتلال وبين آكام الأشجار وعراجين النخيل لتقريب الصورة والقصص الإنسانية ونسج الحكايات، كما كانت تنسجها السوافي منذ الأمد منمنمات وخطوط متناسقة وجميلة، مرسومة بعناية على وجه الرمال والتلال، وعلى وجوه رجالها، غضوناً تسرد تفاصيل الصلابة والشدة والعزم في رحاب الصحراء المديدة والأفق الممتد.

معالم بديعة بين الرمال تمتد من ضواحي الشارقة المدينة حتى مشارف سلاسل جبال الحجر، روت لي فيها البطاح أسرار الأمكنة، وحدثني الوديان عن ركبان أناخت ذات يوم على أديمها، على خطى القوافل القديمة التي كانت تذرع المنطقة الوسطى،

طولاً وعرضاً، وأبعد من ذلك حين كانت حضارة قائمة شاهدة بذاتها في مليحة، تحدث كنوزها عن فصل عظيم من التاريخ والحضارة، يروي قصة تعود إلى قبل 130 ألف عام، وما تملكه المنطقة من مكونات أثرية.

من الذيد، قلب المنطقة، وفلجها الرقراق المنساب العذب، أرصد بوح النخيل وأهله، أعبّر الزمن على ظهور المطايا في مضامير الهجن، زادي كبرياء الصحراء ورمزية الجمل ومكانته الأثيرة، إلى مليحة حيث مرويات التاريخ وحفريات الآثار، إلى المدام، بكل ألق وعنفوان الصحراء، إلى البطائح، وغيرها من الأماكن الحية والتليدة في وجدان الأمكنة والناس.

ولا يفوت هذه الالتقاطات مظاهر النهضة التنموية والزراعية النوعية، التي نثر بذورها ورعى بيادها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، فبزغت شمسها وارتفعت سنابلها وسط الصحراء، من خلال مزارع ومرافق خدمية نوعية ومنتجعات سياحية فخمة ومراكز تعليمية وصروح جامعية، وبنى تحتية متكاملة، ومحميات وحدائق تراعي النظم البيئية والخصوصية الصحراوية في مختلف تشكيلاتها وعناصرها في مناظرها الطبيعية والبعد الأثري لتاريخها العريق، والسير الملتصقة بالذاكرة والقلب؛ حكايات الناس وتفاصيلهم، مروياتهم الرطبة عن حياة الماضي والجدور، تلك التي تعيش في أفئدتهم وعلى ألسنتهم وتتناقلها الأجيال موروثاً خالداً، وجانباً من جوانب الحياة الأصيلة في المنطقة الوسطى الغنية والمليئة بما يستحق الكتابة.

ففي كل أنحاء المنطقة الوسطى، نجد الموروث حياً، ما يعكس توارث هذه القيم والحرص الكبير على الاهتمام بها، سواء من خلال التراث المعنوي والمادي، فمضامير الهجن وسباقاتها في مدينة الذيد، ملمح قوي لذلك الاعتزاز ولتلك الأصالة، وتتعدد صور الاحتفاء بموروث الإبل من خلال «العزب» وتربية النوق «البوش».

فمفردات المكان غنية، وتطلعات الإنسان وآماله وحكاياته أكثر رحابة وفرادة، لذلك تتعدد أوجه الرواية، ونحن ننتبع التفاصيل في الذاكرة، في أوجه الناس، في تاريخهم ومسارات حياتهم، نقرأ الإنجازات في المنطقة الوسطى، وهي شاهدة تتحدث عن نفسها، جلية واضحة في كتاب التنمية المفتوح، الذي تسطر إمارة الشارقة.

المؤلف

الشارقة، يوليو 2023

{ 1 }

الذيد.. الحاضرة الكبرى

آفاق جديدة

مشروعات عديدة تتحرك في كافة أرجاء المنطقة الوسطى ترسم معالم مدن حضرية متكاملة وسط الصحراء، ويلاحظ ذلك جلياً في الأعمال التطويرية الكبرى في مدينة الذيد، وفي مداخلها الطرقية والإنشائية ومدّها بحزمة من الجسور الممهدة لمشروعات مستقبلية سياحية واستثمارية استثنائية تغير واجهاتها، وتقدم ملامح جديدة للذيد المعاصرة المعترزة بتاريخها وحصونها ومرافقها الحديثة وبنيتها التحتية النوعية ومنشآتها الثقافية والتعليمية.

من المشروعات الكبرى مشروع بحيرة الذيد على طول أزيد من كيلومترين، والتي سيمر فوقها جسر الذيد، كرافد حضري يعبر إلى المدينة، حيث الحصن في قلبها التاريخي وحوله الشريعة، شريانها الأخضر العريق، وتبرز من بين الباسقات ذات الطلع النضيد أبراج المدينة العتيقة كبرج المضارسة، وغيره من المشاريع الحيوية والتنموية التي تحيي إرث المدينة الطبيعي والتراثي، مثل مزرعة الميدق وقناة الفلج الموازية للممشى، الواجهة الترفيهية التي تلتف ممراتها في عمق الواحة في الواجهة وعلى الطريق الرئيس عند مدخل المدينة يطالعك سوق الجبيل في الذيد، بتصميمه المستوحى من التراث العربي وزخارف الطراز المعماري الإسلامي، والذي سيعزز المرافق الخدمية في المنطقة، ضمن منظومة استراتيجية

تدعم سياسات الأمن الغذائي المحلي واستدامته، من خلال دعم المزارعين وأصحاب المواشي ورواد الأعمال في المنطقة، وإتاحة منافذ بيع مبتكرة جديدة تحقق لهم النمو والمشاركة المجتمعية في توفير السلع الاستهلاكية والمنتجات الغذائية وتحريك العجلة الاقتصادية.

في مختلف أحياء المدينة وضواحيها أعمال إنشائية جديدة، وإضافات حضرية، سواء على مستوى الطرق أو زيادة الرقعة الخضراء وأعمال البستنة والحدائق والنوافير في التقاطعات الطرقية والبيادين، وقريباً من معلمة الديد المعمارية، مبنى قناة الوسطى، انتصبت منارات صرح جديد هو مسجد الديد عند مدخل الديد الشرقي، كتحة معمارية فريدة.

كما تشكل الجهات الثقافية والتعليمية في المدينة محركاً آخر من محركات النمو والتطور والارتقاء، كالأندية والمراكز ومشآت التعليم، فجامعة الديد على أهبة الافتتاح لتقدم دورها التنويري لأبناء المنطقة وغيرهم، كما تقدم مرافق ثقافية عديدة خدماتها لجمهور المنطقة الوسطى؛ مثل المركز الثقافي في الديد، كحاضنة للمواهب وفضاء للأنشطة والفعاليات الفنية والمسرحية، وقصر الفنون المعاد ترميمه، ومبنى عيادة الديد القديمة، اللذان يحتضنان تشكيلة واسعة من الأعمال الفنية المعاصرة تثري الذائقة الفنية والجمالية، وتتيح الاطلاع على جديد الفنون، وتحلق بالتجارب الفنية لأبناء المنطقة نحو آفاق جديدة.

من الحصن إلى الواحة

بين الحصن والواحة منطقة تراثية غنية وزاخرة في قلب الديد، تبدأ من حصنها العامر بكل ما يحمله من تفاصيل تراثية، انتهاء بالتوغل العميق في واحتها الغناء، وكأنك في جولة في التاريخ، وبين كل ذلك ترى مسارب الماء وقنواته تتدفق مناسبة

وهي تمر رقراقة، فتقفز فوق معابرها الصغيرة يدفعك الشغف لاكتشاف المزيد، فتطالعك باسقات النخل وبهي الزرع، ويأخذك الممشى الطويل وسط الشريعة إلى قلب الذيد، الحافظ لوجدانها وتاريخها وحكايات أهلها.

ينتصب الحصن في بداية هذه المنطقة التراثية، تتوزع أبراجه كمتحف مفتوح، ما إن تدلف لأبوابه الواسعة حتى تأخذك رحلة مدهشة إلى تاريخ الحصن، وتوثيق لبداية تأسيس هذا الصرح سنة 1820 في عهد الشيخ سلطان بن صقر الأول، وتتابع اللقطات العديدة وفي مراحل تاريخية مختلفة تظهر الحصن، من ضمنها صورة تعود لسنة 1905 من قبل المقيم السياسي البريطاني بيرسي كوكس، وأخرى سنة 1937 من قبل المكتشفين والمنقبين عن النفط.

تقودك التفاصيل في جولة داخل أروقة الحصن وغرفه فتقرأ ذكريات الذيد، وأمجاد المكان، وتفاصيل التاريخ الاجتماعي بالصورة والصوت والمجسمات والوثائق والشواهد الشعرية والكتابية، هنا ركن لأنواع الأسلحة والعناد المستخدم في الماضي، وهناك ركن لمجلس الشيخ وضيافته، وأركان أخرى لكل ما يتعلق بالتقاليد الإماراتية، إضافة إلى غرف متعددة، من ضمنها غرفة مخصصة لشريعة الذيد وتاريخها ونظم الري التقليدي، مدعمة بوسائط مدمجة تشرح جهد الأوائل في شق هذه القنوات لسقاية نخيلهم ومزارعهم.

من الحصن تقودك الإشارات إلى واحة الذيد وشريعتها الخلابية، فترى البساتين المنتظمة بجوار الممشى التراثي الجديد، الذي يقودك إلى مزرعة الميدق وبرج المضارسة، والقصر القديم، وقبل دخول هذه الواحة وحول الحصن تتوزع الدكاكين التراثية والعديد من المشروعات التطويرية التي أضافت الكثير لحاضرة الذيد وللمنطقة الوسطى، موظفة عناصر الاقتصاد الإبداعي والإمكانات التاريخية ومقومات المكان لتقديم منتجات معرفية وسياحية تستقطب الزائرين.

هاهي الذيد تلبس حلة جديدة، وقبل فترة توجت خورفكان بلقب أجمل مدينة عربية، وهو تتويج لم يتم اعتباطاً، بل جاء نتيجة لمشروعاتها السياحية والتراثية المتواليّة التي رسمت صورة للمكان، وعكست تاريخ المدينة، وهي لبنات وأسس وضعها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في مدن ومناطق الإمارة، بما يتناسب مع طبيعة كل مدينة ويوفر لها المقومات الرئيسية اجتماعياً وثقافياً وتراثياً وبيئياً وسياحياً، ويعكس قيمتها من حيث تاريخها ومكتشفاتها الأثرية، وتنوعها البيئي الذي يعزز من انتماء أهلها وترابطهم الاجتماعي، وينمي الحركة السياحية المعرفية.

القلب النابض

العابر من كل الاتجاهات إلى المنطقتين الوسطى والشرقية من إمارة الشارقة، مروراً بالقرب من مدينة الذيد، يلحظ تنامي شبكة البنية التحتية الحديثة على أطراف المدينة ووسطها، سواء تعلق الأمر بطريق مليحة أو طريق خورفكان الجديد - وكلاهما يمر بالقرب منها - أو بشبكة الطرق الداخلية التي ربطت أحياء الذيد ببعضها، وجاءت منسجمة مع متطلبات التطور العمراني الذي تشهده المدينة، وتوسع الأحياء وفق تنظيمها العمراني الجديد والمتنامي.

ومن ذلك توسعة شارع الشهيد سلطان بن محمد بن هويدن، وشارع وشاح إلى 3 مسارات، وشارع خدمة في الاتجاهين، وتطوير وتوسعة شارع راشد بن سالم بن فاضل إلى 3 مسارات، وهو تطوير يتمشى مع حاجة أحياء المدينة لتخفيف مشكلات الازدحام والاختناق المروري، وتوفير شبكة مواقف وتفرعات خدمية، تلبي متطلبات المدينة وتوسعها الأفقي، حيث شهدت خلال السنين الأخيرة تطوراً

ملحوظاً، بفضل المشاريع الإنمائية، وتنامي قطاع الإسكان والمرافق والخدمات من المدارس والمساجد والأسواق والحدائق؛ في قرين وجبل عمر والطيبة والحصن والشريعة وسهيلة، وأحياء السويح وتل الزعفران ووشاح.

إضافة إلى تشجيع الاستثمار عبر توزيع ما يقارب 1000 قطعة أرض في المنطقة التجارية الجديدة وفي منطقة سهيلة، إضافة إلى 1000 قطعة أخرى في الصناعة الجديدة للمواطنين، من طرف حكومة الشارقة.

وستساعد مشاريع الطرق الحديثة والطرق الداخلية في المناطق السكنية بمدينة الذيد، في إحداث نقلة نوعية كبيرة في حياة سكان المدينة وسالكي طرقها، ورفع كفاءة الانسياب المروري وتعزيز السلامة.

وبناء على تجربة مدينة الشارقة في سوق المواشي، بني مسلخ مدينة الذيد، الذي بدوره يواكب متطلبات الذيد وحاجة المدينة إلى مسلخ حديث يليق بحاضرة المنطقة الوسطى الكبرى، وما يناسبها من مستويات عليا من حداثة البنية التحتية والخدمات الموازية لها، التي سيشكل دخولها تغييراً جذرياً على مختلف المجالات في المنطقة الوسطى، مثل سفاري الشارقة بالذيد، وتحويل فرع جامعة الشارقة في الذيد إلى جامعة، وافتتاح مركز الذيد للتسوق الذي يدعم الحركية الاقتصادية وأسواق التجزئة، وغير ذلك من مرافق، تضاف إلى مرافق سابقة غيرت وجه المدينة.

حُق للذيد أن تحتفل..

حُق للذيد أن تحتفل، أن تزدهي بأجمل الحلل وتضيء حصنها العريق بحكايات التاريخ، وتعيد زهو الماضي الذي رسمت أسواره، ونسجت رؤى الأهالي من حوله يذودون عنه وعن ذاكرتهم الأصيلة، ففي الذيد «شواهد تاريخية أصيلة تمثلت في

العديد من المواقع الأثرية التي لها دلالات كثيرة على إرث وصفات أهل المنطقة وما شهدته من ظروف مختلفة»، كما قال صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة عن المدينة، خلال افتتاح حصنها وعدد من المشروعات المجاورة له، والتي تحتفي بالتاريخ والموروث والوجدان الزاهي لأهالي المنطقة.

حُق اللذيد أن تحتفل.. فثمة خطوات تقف ثابتة على أرض التاريخ، معترزة بالحاضر وتسير واثقة نحو المستقبل، تقدم تنمية محاورها الأصالة والإنسان والبيئة، ووفق النسق الأول ارتفع شامخاً حصن الذيد بهي الشكل والحضور في الذاكرة الجماعية، وجاء تسليم مفاتيح المباني السكنية المخصصة لموظفي قناة الوسطى وفرع جامعة الشارقة بمدينة الذيد، لبنة أخرى من لبنات التمكين والدعم الاجتماعي الذي يستهدف الإنسان، ويوفر للموظفين وأسرهم الاستقرار والطمأنينة، فموضوع الإسكان من المواضيع الأساسية التي تعمل حكومة الشارقة على حلها لدعم الموظفين في المنطقة الوسطى، وثمة خطط مستقبلية لإنشاء مبان إضافية ومشروعات مرافقة في السياق ذاته.

حُق اللذيد أن تحتفل.. ف«المشروعات الحالية والمستقبلية في إمارة الشارقة بشكل عام، وفي المنطقة الوسطى بشكل خاص، لها العديد من العوائد والفوائد الإيجابية على المنطقة وأهلها..»، كما قال صاحب السمو حاكم الشارقة، ومن أمثلة ذلك مشروع الصوبات الزراعية بمدينة الذيد، الذي يعمل على تطوير وتمكين وتسويق المقومات الزراعية الطبيعية في المنطقة الوسطى، وتحسين الإنتاج الزراعي عبر أحدث التكنولوجيا في هذا المجال لتحقيق الاكتفاء الغذائي، وإنتاج أفضل المنتجات الزراعية.

حُق اللذيد أن تحتفل.. لأن «تأثير هذه المشروعات يمتد إلى مسارات متعددة من حيث تأهيل أبناء المنطقة بالعلم النافع، وإحياء موروثها، وتوفير فرص العمل،

والحفاظ على البيئة ومكوناتها والمساهمة في تنمية تنوعها البيئي الحيوي»، لذلك وقف مبنى مدرسة فيكتوريا الدولية على طريق الشارقة مليحة لدعم قاطرة التعليم، ووضع حجر الأساس لمشروع أكاديمية العلوم البيئية والطبيعية بمدينة الذيد، للمشاركة العلمية الفاعلة في صون كل هذا التنوع الحيوي.

مشاهد من الذيد

تشهد حواضر المنطقة الوسطى العامرة تسارعا في تهيئة المرافق وإنجاز المنشآت وأشغال وخدمات البنية التحتية المناسبة، ويتضح ذلك جليا في مدينة الذيد التي شهدت خلال الفترة الأخيرة افتتاح العديد من الوجهات السياحية، ويجري العمل على مرافق تجارية وتنموية، وقد انعكس كل ذلك على حركية المدينة وتنامي الأنشطة التجارية على مداخلها وفي وسطها الحي.

وقد فتح حصن الذيد التراثي العديد من الفرص السياحية والتنموية، كما كان لسفاري الشارقة في محمية البردي تأثير مباشر على تنامي الزائرين الذين تجذبهم المناطق البيئية والأثرية في المنطقة الوسطى، ماكان له انعكاس حيوي على مختلف الأنشطة الاقتصادية والخدمات المرتبطة ارتباطا مباشرا بالناس، كمنافذ البيع والمطاعم والمقاهي والمعارض ومحالّ مستلزمات الرحلات والتخييم والبستنة وآلات الزراعة والأعلاف وغير ذلك من مشاريع ومبادرات.

ويعزز هذا التنامي العديد من المراكز والأسواق الحيوية؛ مثل سوق الجبيل في المنطقة الوسطى، ومركز الذيد التجاري، وغير ذلك من الإنشاءات التي حركت المقاولات، وعززت مناخ الأعمال والتداولات والرخص، وثبتت ذلك تقارير المؤسسات والهيئات الحكومية الوصية، حيث أشار التقرير السنوي لدائرة التنمية

الاقتصادية في الشارقة بخصوص بيانات رخص الأعمال الصادرة والمجددة بفروع الدائرة المنتشرة في المدن والمناطق التابعة لإمارة الشارقة، إلى تصدر فرع المنطقة الوسطى سنة 2021 قائمة الفروع بإجمالي 7224 رخصة.

ووفق نتائج التقرير السنوي للتصرفات العقارية بالإمارة خلال العام الماضي والصادر عن دائرة التسجيل العقاري في الشارقة، فقد شهد فرع الدائرة بالمنطقة الوسطى أعلى قيمة للتداول من بين الفروع وبإجمالي 446 مليون درهم.

أرقام تقدم تفصيلات جلية عن الاهتمام المتزايد بالمبيعات والاستثمار في هذه المناطق، سواء لأغراض زراعية أو تجارية أو صناعية، وعند مداخل مدينة الذيد تتضح الملامح الجديدة للأثر الاقتصادي المباشر للتنمية، من خلال المشاريع الصغيرة والمقاولات ومعارض السيارات، التي تصطف أمامها أنواع المركبات، وكذلك الجرارات والآليات الزراعية والتي تشير إلى حضور الاقتصاد الزراعي كرافعة تقليدية تواكب المستقبل والمتغيرات، وتشارك بقوة في رسم ازدهار المدينة، خاصة بعد افتتاح مشروع الصوبات الزراعية، وتدشين مشروع مزرعة القمح في مليحة، ومرعى النزهة بمنطقة المدام، وكلها مبادرات لدعم وتمكين الإنتاج الزراعي والحيواني، ودعم المنتجين وإشراكهم في توفير الغذاء الصحي السليم، ضمن خطة تحويل مناطق الشارقة لمشروعات إنتاج مستدامة.

في قلب العالم

«المنطقة الوسطى، كان من المقرر تطويرها عام 2023، ولكنها رفضت ذلك وجذبنا إليها للبدء في التطوير..»، بهذه الكلمات وصف صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، حركة

العمل التنموي في هذه المنطقة من الشارقة، وبما حباها الله به من تنوع ومقومات وإمكانات طبيعية جاذبة.

وتضاف تجربة جديدة إلى ربوع هذه المنطقة، يتمثل في مشروع عالمي طموح نقل السفانا الإفريقية ودهشة البراري إلى عمق البادية، في عودة إلى الطبيعة، ودعوة إلى سماع صوتها العميق الذي كانت عليه منذ البدء، حيث فتح سفاري الشارقة في محمية البردي بمدينة الذيد أبوابه للزوار، متيحاً تجارب الأدغال ورحلات السفاري بين الأسود وقطعان الغزلان والزرافات، في رحلات برية للزوار تتيح مشاهدة حياة البراري في الطبيعة.

ويمتد هذا السفاري على مساحة 15 كلم، حيث تمت تهيئة نطاقه الصحراوي ليلائم هذه الكائنات الجديدة، كما لو كانت تعيش في بيئتها الأصلية، وثمة مشاريع عديدة أخرى في الطريق، كمشروع الشريعة، الذي يحيي نظام الأفلاج المائي القديم، وبحيرة البطحاء التي تهدف إلى ترميم الموارد، وهي كلها مشاريع تخدم الحركة السياحية في المنطقة الوسطى، وتضع الذيد في قلب العالم، كما ترسم ملامح رائدة في أهداف الاستدامة وصون التنوع الحيوي.

إمارة الشارقة وفي سعيها الدؤوب للتطور لم تغفل الجانب البيئي وصون الحياة الفطرية، فقد قامت بالعديد من المشاريع والمبادرات لدعم هذه الأهداف من خلال المحميات ومراكز الأبحاث البيئية على امتداد مناطقها، فتم استزراع المرجان في البيئات البحرية، وتخصيص المراعي وزرع النباتات في الأماكن الصحراوية، وإكساء الجبال بالخضرة في البيئات الجبلية.

وقد نقلت هذه التجارب دوماً إلى العالم، ففي النسخة الـ21 من منتدى الشارقة الدولي لصون التنوع الحيوي 2020، أعلن صاحب السمو حاكم الشارقة عن تخصيص منحة للدول التي تعاني من تدهور الحياة الفطرية والبيئية، والتكفل بإرسال العلماء والخبراء لتقديم خبراتهم في مجال صون الحياة الفطرية، للحفاظ

على البيئات الأخرى وصون التنوع البيئي فيها، وتشارك هذه التجارب عالمياً لصون وسطنا الطبيعي، كهدف في الاستدامة، وكحق للأجيال القادمة.

الوجه الجديد

شهدت مدينة الذيد؛ الحاضرة الكبرى للمنطقة الوسطى خلال السنوات الأخيرة مشاريع نوعية متعددة، تمس مختلف الجوانب التنموية ومرافق البنية التحتية.

ف«سفاري الشارقة» أكبر حدائق الحيوانات في المنطقة فتح الباب لشكل جديد من سياحة البراري المفتوحة، ويرافق هذا المشروع السياحي والبيئي العمل على إنشاء مؤسسات ومنتزهات جديدة ستتيح فرص توظيف وشواغر في المنطقة، وتتكامل هذه التوجهات مع مقومات وميزات البيئة المحلية للأهالي في الذيد، حيث تم إنشاء نادي الشارقة لسباقات الهجن، بالذيد للحفاظ على الموروث الثقافي المرتبط بسباقات الهجن وتنويع مضامير هذا الموروث، وتدعيم النهضة الزراعية للذيد كخزان زراعي وطني عريق، وتنويع هذا الربيع وتجويد المنتج الزراعي من خلال استثمارات نموذجية، مثل مشروع الزراعة المحمية الذي سيوفر 1750 طناً من الخضار الصحية والنظيفة، على مساحة 70 ألف متر مربع، ومشروع الألبان الذي سيخدم شريحة كبيرة من أفراد المجتمع.

هذه المشاريع ستعكس على تدعيم البنية التحتية والمقومات الخدمية ومرافقها، وما يتطلب ذلك من مواكبة، فالأراضي الشاسعة للمنطقة الوسطى، والتي تحيط بمدينة الذيد وتمتد في مختلف الاتجاهات، تتطلب رؤية وتوجيها اقتصاديا يستغل هذه المساحات، ولذلك بدأت المرحلة الأولى من مشروع مرعى الشمال، وهو الأكبر في إمارة الشارقة، وتبلغ مساحته 11 كيلو متراً مربعاً، وقد تم تخصيص

80 عزبة بداخله لتلبية احتياجات مربى الماشية، وهي موزعة بالتساوي بين منطقتي زبيدة وسهيلة.

هذه الخطوات ترافقها استراتيجيات لتوفير القوى البشرية والكفاءات في كل احتياجات هذه المرافق البيئية والزراعية، ولذلك تم إنشاء مشروع أكاديمية العلوم بالمنطقة الوسطى، المتخصصة في مجالات الزراعة وعلم البيطرة وعلوم الصحراء، إضافة إلى حواضن معرفية وسياحية كمركز الذيد للحياة الفطرية، وكذلك الأسواق المتنوعة، لإعادة توزيع المنتج، وكمرافق خدمية تلبي حاجات الأهالي في المنطقة الوسطى.

ولا تقتصر جهود المشاريع الجديدة في الذيد، على الجوانب الاقتصادية فقط، فهي في مجملها تستند على الموروث الثقافي، وتعيد إنتاج هذا الموروث وفق قوالب معاصرة ومتماشية مع الأذواق الجديدة ومتطلبات الصناعات الثقافية والاقتصاد المعرفي، وما يتطلب ذلك من دمج بين الجوانب الثقافية والسياحية لتسويق أفضل لمعالنا التراثية والتاريخية العريقة، وآخر تلك المشاريع مشروع ترميم وإنشاء حصن الذيد التاريخي بمنطقة الشريعة الذي يعود تاريخه لأكثر من قرنين من الزمان.

{2}

مشاهد ومعالم

مع سلطان الثقافة

أتيح لي في صبيحة يوم الثلاثاء «10 مايو 2022» أول لقاء مع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، ضمن اجتماع خص به مدراء تحرير مجلات وإصدارات دائرة الثقافة بالشارقة، وذلك في دارة سموه، في لقاء تمحور حول دور الثقافة وقوتها وأهميتها في التنوير والتوعية والارتقاء بالذائقة الجمالية والمعرفية، واستمرار الشارقة في نشر رسالتها الثقافية وتدعيم حضور اللغة العربية عالمياً، وقد كان لقاءً أريحياً وودياً طبعه توجيه أبوي صادق ينم عن وعي عميق بأهمية الكلمة وحضورها في المشروع الحضاري وصياغة الأجيال وتشكيل الأمم.

لقد اتصل بي مدير تحرير مجلتي «الشرقية» و«الوسطى» أخي وزميلي محمد ولد محمد سالم، وطلب مني تمثيل مجلة «الوسطى» في هذا اللقاء وحضر هو بصفته ممثلاً لمجلة «الشرقية»، حيث جلسنا أمام رجل الثقافة الأول في الإمارات، وصاحب مشروع ثقافي نموذجي يمتد من الخليج إلى المحيط وطاف بإمارة الشارقة في سماء العالمية، وقد كان كلام سموه، خلال هذا اللقاء جامعاً للكثير من الفوائد، بدأه بشواغل الصحافة ودورها والثقافة وأثرها، والتراكم الذي حققته إمارة الشارقة في البناء الثقافي على مدار أكثر من نصف قرن من الممارسة الإبداعية والفكرية، واهتمامات سموه المبكرة بالإعلام أواخر خمسينيات القرن الماضي، والتي جاءت

مقارنة للوجود الإنجليزي، وتأسيسه لمجلة «اليقظة»، وإصداره لصحف مدرسية، وممارسته للمسرح، وكتاباته العديدة وإيمانه العميق بقوة الكلمة وتأثير الثقافة في الوعي والارتقاء بالناس.

وقد لمست في كلامه إيماناً عميقاً برسالة الكلمة وحساً عالياً بأهمية الثقافة في الوعي والتشكيل المعرفي والوجداني للأجيال، ودور المعرفة في نحت الذائقة الفردية والجماعية وتشكيل المجتمعات ورسم هويتها الثقافية.

وقد وجهنا صاحب السمو حاكم الشارقة خلال هذا اللقاء إلى تقديم الأقسام الشابة ونشر إبداعاتها للقراء، واجتهدنا في مجلة «الوسطى» لإبراز تلك المواهب من الطلبة والكتاب الشباب، وكانت هذه المجلة قد رأت النور في أكتوبر من سنة 2019، تنفيذاً لتوجيهات سموه في مواكبة المشهد التنموي والثقافي المتنامي في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة ذات التاريخ الضارب في القدم، والتي لا تزال شواهدنا حاضرة ترويهما الأجيال.

واجتهد هذا المشروع الثقافي - الذي اختارت له دائرة الثقافة في الشارقة كوكبة من الصحفيين، أشرف أنني كنت من ضمنهم، منذ العدد الأول - في الحفر عميقاً في تفاصيل الأمكنة وحكايات الناس ورحلة الإعمار والنماء، حيث بدأ من أهل المنطقة وارتكز عليهم، وقدم منتجاً ثقافياً يعنى بهم وبتراثهم وتاريخهم وأرضهم، وكتب عن شبابهم وشيبيهم، وحضرهم وباديتهم، ووثق حياتهم وتجاربهم، وأتاح مساحات واسعة لناشئتهم وشبابهم كصوت للمستقبل ومواهب واعدة تستحق أن تبرز وتؤكد قوة إنسانها الذي عركته الصحراء، لكنها أخرجت أجمل ما فيه؛ صفاء كالتبر وقوة كالصخر وإنجازات ساطعة مثل الشمس.

أبجدية الشارقة

تتعدد الصور في المنجز التنموي العام لإمارة الشارقة، وتتوالى جلية تعبر عن ذاتها، من أجل رفاه الإنسان وتنويره المعرفي، حاضرة وأصيلة في المكان والعمران، تمد الجسور الثقافية والحضارية بين الناس، تصافح العالم بذهن منفتح، وتنمي شجرة الهوية في ربوع الأرض خضراء يانعة، تؤتي أكلها كل حين.

من النماذج الثقافية العديدة في إمارة الشارقة معرض الشارقة الدولي للكتاب، الذي يحمل مسيرة قاربت 4 عقود من خدمة الكتاب والثقافة العربية، وفي محفل كهذا تتلاقى فيه العقول زارها المعرفة، ويتواصل الناس يرافهم الكتاب الأنيس اللطيف، لا بد أن يعلو صوت ذلك الرفيف الجميل للكتب، وهي تحلق كالفراشات، فاردة جناحيها بين أيدي القراء، ينهلون من كأس المعرفة الدهاق.

المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة كانت حاضرة في المعرض، وأخذ حضورها أوجهاً عدة، في هذا العرس الثقافي، فمرة من خلال أجنحة دوائر وهيئات حكومة الشارقة، التي رصدت كتبها وإصداراتها جوانب من تنامي الفعل التنموي والثقافي في ربوعها، ومرة أخرى من خلال حضور مبدعيها، ناشريها، كتابها، باحثيها، شعرائها، مؤلفيها الشباب، وهم يسطرون في المعرض إبداعهم، ويوقعون كتبهم، ويقارعون أهل الثقافة والفكر في هذا الملئقى العالمي.

كما كانت حاضرة أيضاً في متون الكتب، وإصدارات دور النشر، من خلال تاريخها وتراثها وقلاعها وواحاتها ومزاراتها وقصائد أبنائها وذاكرتها الثقافية والأدبية الحية، ومثلت الكتب التراثية والأثرية المحتوى الأبرز من ناحية التصنيف الموضوعي للعناوين والمضامين، تليها الكتب الإبداعية الأدبية، سواء كانت شعرية أو سردية، فمن الكتب الثقافية والتاريخية كتاب «قصة التعليم في الذيد» لمؤلفه خليفة الطنيجي، وهو دراسة في التاريخ الشفوي، ومن إصدارات معهد الشارقة للتراث، إضافة إلى التحقيقات والكتب المتخصصة، المعنية بمجالات محددة، مثل

الطبيعة أو البيئية، ككتاب «النباتات البرية والجبلية من المنطقة الوسطى»، الذي جمع مادته الباحث مطر الطنجي وأعدّه للنشر الدكتور راشد المزروعى، وعرض في جناح دار التراث الشعبي.

ومن الكتب التنموية، كتاب «المنطقة الوسطى في الشارقة.. واحة التجارة والتنمية»، الصادر عن دائرة التنمية الاقتصادية بالشارقة، والذي نظمت ندوة لنقاش مضامينه، على هامش فعاليات المعرض، ورصد هذا الكتاب الإمكانيات التنموية والسياحية والثقافية للمنطقة الوسطى، وما تزخر به من مزارات أثرية وسياحية، والآفاق الاستثمارية والاقتصادية للمنطقة.

وهذه مجرد نماذج من عناوين كثيرة في مختلف الحقول المعرفية، رصدت المعطى الجغرافي والثقافي والتاريخي والإنساني للمنطقة الوسطى، كانت حاضرة في المشهد الإبداعي الذي رسم معرض الشارقة الدولي للكتاب، وهو يفتح أبوابه للشغوفين بالرؤى ومثونها، ويفتح من خلال الكتب الأذهان، ويقودها إلى دهشة الاكتشاف والاطلاع والمعرفة، يسطر أبجدية الشارقة الثقافية، ولغتها الحضارية الخاصة، التي تخطها وتدبجها كتاباً يتعلم منه العالم.

تكامل التاريخ

تقدم الحفريات الأثرية الكثير من الشواهد المعرفية الحية عن الحضارة والتاريخ والتلاحق الإنساني عبر العصور، وتعد مرجعاً مفتوحاً يفصح عن مسارات الإنسان في فضاءات الأمكنة وما أنتجه الاستقرار من إبداع وتدوين معرفي وصناعات وعطاء بشري.

وتزخر إمارة الشارقة بالوجهات الأثرية التي تعود لحقب بعيدة، وتفتح بوابات من المعرفة عن أسرار المنطقة الموعلة في الزمن، حقبها الأثاريون وقسموا تفصيلاتها وفق الحضارات التي عرفتها المنطقة كحقبة «أم النار» وحقبة «وادي سوق»، اللتان أخرجتا للعالم كنوزاً أثرية نابضة، مليئة بالقصص التاريخية؛ فالنقوش والتحصينات الدفاعية والأضرحة الجنائزية الجماعية، والجرار الفخارية واللقى والقلائد والمصوغات والعملات والأدوات، كلها دلائل حفرية واضحة على الحياة النابضة لمجتمعات تلك الفترة، والتميز في الابتكار من خلال نوعية هذه الآثار واستخداماتها، والتواصل بين هذه الحضارات عبر طرق نشيطة مع حضارات أخرى كالعهد وبلاد الرافدين ومختلف مناطق الجزيرة العربية، إضافة إلى الحضارتين الإغريقية والرومانية.

من هذه الآثار مكتشفات عديدة في المنطقة الوسطى، تمتد على مساحات شاسعة من الزمان والمكان، حيث كانت مدنها ملتقى لتواصل بشري حي وفعال، ففي مدينة مليحة تنتفس الصحراء ويعبق شذى التاريخ عبر الحقب، من خلال شواهد الأثرية الكثيفة والمتنوعة، التي تضرب بجذورها الممتدة إلى القرن الثالث ق.م، وعرفت أوج ازدهارها خلال الفترة الهلنستية واستمرت حتى القرن الرابع الميلادي، كما عثر فيها على شواهد كتبت بالخط المسند الجنوبي وكتابات آرامية مهمة، فضلاً عن ضريح أم النار بالقرب من مركز مليحة للآثار، ويبلغ قطره 13.85 متراً، ويعد من أكبر القبور خلال مرحلة أم النار في جميع إمارات الدولة، إضافة إلى أضرحة العصر البرونزي في جبل فايا، وغير ذلك من القطع كالزجاج، وصواني الحجر الناعم، ومزهريات المرمر، والسلطانيات البرونزية، والخرز، والعاج، والمسكوكات، والتمائيل، وقوالب الطوب.

هذه الأمكنة والمزارات التاريخية، جزء لا يتجزأ من المقاربة التنموية والثقافية الشاملة لإمارة الشارقة في المنطقة الوسطى، فثمة خطة واضحة بخصوص توظيف

هذه الإمكانيات الأثرية، والمحافظة على مقدراتها وصونها، ونقلها إلى العالمية، إذ وجه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في يناير 2018 بإنشاء لجنة ملف التراث العالمي للمشهد الثقافي للمنطقة الوسطى لإمارة الشارقة، كما تعمل هيئة الشارقة للآثار بشكل حثيث مع مجموعة من الفاعلين الدوليين والمحليين في مجالات التنقيب والترميم والصيانة، حيث وفدت إلى الإمارة عام 2018 بعثات أثرية من كل من البرتغال وبلجيكا وألمانيا وإسبانيا وأمريكا واليابان.

في وقتنا الحالي، تعد الأماكن الأثرية رافداً مهماً من روافد الاقتصاد الثقافي والمعرفي، إذا هيئت هذه المزارات بالشكل السياحي المطلوب، الذي يحمي قيمتها ويرفد الاقتصاد عبر السياحة الثقافية والتاريخية، وقد هُيئت بعض المواقع الأثرية لتكون وجهة جاذبة للزوار، بشكل يراعي السلامة والحفاظ على القيمة التاريخية للأمكنة والمواقع، عبر سياجات عازلة، وممرات ومنصات آمنة للزوار والسائحين، يستطيعون من خلالها الاطلاع بوضوح على هذه الآثار التي تروي جوانب من حكاية التاريخ البشري منذ آلاف السنين، وسيرة مواقع وحصون وبيوت وأماكن حطت فيها رحال الناس خلال تلك العصور، وتقدم لهم هذه المناطق زاداً معرفياً ومعلوماتٍ قيمة عن التاريخ المبكر، يروي شغفهم الثقافي، ويروج ويعرف بهذا التراث العالمي.

فنون الصحراء وفتونها

عند مخرج نزوى في التعرج الأيمن للقادمين من الشارقة، على طريق مليحة نحو المدام، وعلى طول الطريق نحو حاضرة الكهيف، ومهرجانها الصحراوي

العامر، تتبادر للناظر تلك المعالم الشتوية المحببة؛ السيارات الراكنة حذو الكثبان، وأعمدة مصابيح التخيم الطويلة تخلق دوائر مشعة وسط ظلام خفيف بدّه بدر مكتمل يناجي السّمَار وهم يستمتعون بنسيمات الليل، ويتجاذبون أطراف الأحاديث في لحظاتهم الأنيسة.

على بعد أميال قليلة، حافلات سياحية تخترق سكون الليل، قادمة من كل حذب وصوب، ترمي في أحضان الطبيعة الصحراوية البكر للمنطقة الوسطى الحالمين من محبي الصحراء، يكتشفون الشرق والليالي العربية، يقود كل فرقة منهم دليل سياحي يشرح لهم ويعرفهم بميزات البادية وتضاريسها وناسها وطبيعتها وطقسها الشتوي الخلاب.

وبين المخيمين على جنبات الطريق، وأرتال حافلات السفاري، يصدح عرس الصحراء الجميل وسط كثبان الكهيف، في موسمه الخامس، إنه مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي، الذي جسد بعداً آخر للإبداع المسرحي، من خلال عناصر البيئة، وتوظيفها بشكل جذاب لخدمة النصوص والعروض المسرحية، في طرح إبداعي غير مسبوق، قدم إمكانات لا نهائية أمام المخرجين والممثلين المسرحيين لإنتاج فنٍ باذخ تفاعل بشكل أكثر قرباً وحيوية والتصاقاً بالجمهور كأنه جزء من المشهد في ليل البادية.

التقنيات المكثفة للإضاءة، والارتداد العميق للصوت والصدى، كأنه رجع لسافيات تلك الروابي، المتمايلة خلف الخيام، والشجيرات الطبيعية المتناثرة في المدى المفتوح واللامتناهي، خلقت حالة من الانسجام مع هذا المسرح، مثل ذلك، الخيول المطهمة، والإبل وحدائها الحي، في ترنيمات عذبة وسط كل هذا الكرنفال، تماهت مع دندنات الدفوف والأشعار البدوية.

مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي، تظاهرة ثقافية عربية، تشد إلى المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة كل سنة، أنظار محترفي المسرح العربي، وهم يقدمون

من بيئات البادية العربية المختلفة، الزاخرة والساحرة، أفضل إبداعاتهم، وينطلقون من موروث الصحراء العميق في تشكيل سينوغرافيا بصرية، متعددة المشهديات، ورؤى جديدة تكرر تخيلاً أكبر وتفاعلاً أكثر من قبل متذوقي الفنون المسرحية.

ضف إلى ذلك المسامرات الثقافية، التي تنقد العروض وتناقش مضامينها، وهي ندوات تعقد بعد كل عرض مسرحي، لتلمس مكامن القوة والضعف في تقنياته الحوارية والأدائية والإخراجية، ناهيك عن المجتمع المتفاعل الحي في باحة المهرجان، بمختلف أصنافه وأعراقه، يعيش ليل البادية وفنون البادية وفتونها بكل تجلياتها.

إن هذا المهرجان، والذي تشرف عليه دائرة الثقافة في الشارقة، يعد فكرة أصيلة، من أفكار العمل الثقافي للإمارة الباسمة ومخرجاته المثمرة، ويتجلى ذلك في خصوصيته الثقافية، وفي تنوعه الفني والمعرفي، وفي تفاعله الجماهيري مع الأهالي وإتاحة الفن وفق أنماطهم الثقافية، وتذوقهم الفطري، إضافة إلى التفاعل من خلال المسرح المفتوح والضيافة البدوية الأصيلة في ساحة المهرجان، والخيم الفندقية، المتاحة طيلة ليلائه، وهي كلها عوامل نجاح وقوة وأصالة لهذه التظاهرة الثقافية النوعية التي تحتضنها كثران الكهيف.

في عيون الإعلام

المنطقة الوسطى حاضرة في عيون الإعلام بتراتها وتاريخها وأماكنها، والمتابع للإعلام المحلي والعربي والدولي يجد مساحات واسعة لهذا الحضور، سواء من خلال أماكنها التراثية العالمية أو في مواقعها ومراكزها البيئية والسياحية، فقبل فترة قليلة طالعنا شبكة تلفزيون الصين الدولية بصور ملتقطة بطائرة بدون طيار

للرمال الجميلة والكثبان بالقرب من منطقة المدام، وكذلك أفردت عدسات «ناشيونال جيوغرافيك» تقريراً مصوراً حول نزل الفاية وتفصيل اللحظات مع عشاق التخيم في صحراء المنطقة الوسطى، من خلال رصد للحياة في عمق الصحراء، مدعوم بمشاهد ولقطات أسرة للطبيعة في منطقة مليحة التي تم ترشيحها كموقع تراث عالمي من قبل «اليونسكو» لاحتضانها مواقع تاريخية أثرية.

لم تكن هذه المواقع الجاذبة، المعلم الوحيد الذي اهتم به الإعلاميون فواحات الديد وفلج الشريعة جذبت دائماً وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وفي التاريخ الإعلامي، نجد في استطلاعات العربي الشهيرة «اعرف وطنك أيها العربي»، صورة إيقونية في العدد العشرين سنة 1960، حين تصدرت أربع صور لشخصيات من الشارقة أول صفحة في التحقيق، وكانت إحداها صورة لأحد رجال الديد، يتمنطق بحزامه، وهو محمد بن سعيد بن مترف الطنجي، رحمه الله، والتي تعد اليوم من أقدم الصور الشخصية لأهالي الديد، وقد التقطها مصور المجلة أوسكار متري، ونشرت ضمن استطلاعات الصحفي سليم زبال الأولى عن إمارة الشارقة.

المشهد الثقافي، كان أيضاً واجهة أخرى دائمة الإضاءة، وظل حاضراً في مختلف الوسائل الإعلامية، من خلال الحراك الثقافي وزخم الفعاليات والأنشطة التي انطلقت من المنطقة الوسطى، فمهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي في منطقة الكهيف، خلق جواً تفاعلياً جديداً جذب عشاق المسرح العربي ودفعهم إلى تقديم منتج فني إبداعي متميز بروح البادية واكمه الإعلام باهتمام كبير، لخصوصيته الفنية والمكانية وفرادته الإبداعية.

كما غطت تشكيلات مهرجان الشارقة للأضواء، بعض معالم المنطقة الوسطى، وحضرت بقوة في العناوين والمتابعات الصحفية، ومن ضمنها لوحات الضوء على مبنى قناة الوسطى من الديد، هذه القناة التي واكبت أيضاً رصد مشهد المنطقة التناموي

والثقافي، وهو الأمر ذاته الذي قامت عليه رسالة مجلة «الوسطى»، الصادرة عن دائرة الثقافة في الشارقة، وهي تتابع هذا المشهد، ترصد تفاصيله وتتابع تطوره، وتسرد قصصه المجتمعية والإنسانية.

في المنطقة الوسطى ما يجذب الإعلام، سواء عبر الأماكن السياحية والبيئية والتضاريسية والأثرية في سفوح الجبال الرملية، التي تعرف بأساليب وظروف حياة سكان المنطقة منذ آلاف السنين، في مناطق مليحة وجبل «البحيص» و«الفاية»، وما قدمته هذه الحفريات من مكتشفات، منذ بداية التنقيبات الأثرية عام 1973، حتى الآن، ومنها كتابات بخط الزبور منقوشة على ألواح فضة عن مملكة مليحة التي ازدهرت في القرن الثالث قبل الميلاد، وقطع وأدوات فخارية وحديدية، وغرف تحت الأرض والعديد من الآثار القيمة.

حياة البدو في الصحراء ممتعة أيضاً، وصحراء المنطقة الوسطى نموذج متكامل للصحراء بميزاتها السياحية العديدة، ومن هذه النوافذ حضر الإعلام مراراً أيضاً.

احتفاء عالمي

التميز عنوان آخر من عناوين مشاريع إمارة الشارقة التنموية والثقافية والسياحية في المنطقة الوسطى، حيث واكبها احتفاء عالمي يعترف بهذه المنجزات الحضارية المعمارية والسياحية، ففي عام 2020 فازت حديقة بحيص الجيولوجية بجائزة العمارة، وهي جائزة دولية مرموقة تحتفي بالإبداع والابتكار في مجالات التصميم المعماري وهندسة المناظر الطبيعية والتصميم الداخلي، كما طالعنا الأخبار في مناسبات متقاربة بفوز واحة البداير بجائزة «المنتجع الصحراوي الفاخر في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لعام 2020، ونزل الفاية في مليحة بجائزة «فندق بوتيك

فاخر في دولة الإمارات»، ضمن «جوائز الفنادق العالمية الفاخرة»، التي تمنحها نخبة من متخصصي السفر والسياحة والمسافرين من جميع أنحاء العالم، ويشارك فيها 300 ألف مصوّت لاختيار أفضل الفنادق والمنتزهات عبر أكثر من 99 فئة محلية وإقليمية وعالمية.

تكريم هذه المرافق البيئية والسياحية في المنطقة الوسطى، لم يأت صدفة بل هو تأكيد على رؤية متكاملة لإحلال بنية تحتية بمعايير عالمية ترفد مقومات المنطقة السياحية والبيئية والأثرية وتقدم نماذج وخدمات منافسة، وفق أسس معيارية وفي ظروف ومنشآت تراعي نظم الجودة والسلامة والتنوع في الخيارات والتميز في الإدارة المعمارية والفندقية.

التصميم المعماري الهندسي لحديقة بحيص الجيولوجية، الذي صمّمته شركة «هوبكينز أركيكتشر»، بالتعاون مع رؤى فرق هيئة البيئة والمحميات الطبيعية في الشارقة، جاء متوائماً مع طبيعة التضاريس والتكوينات الجيولوجية في سهول منطقة المدام، ويظهر للناظر من الخارج كقرص مدور، وهو تصميم قدم إمكانيات هائلة لدعم فكرة الحديقة ومعروضاتها، التي تحيي التاريخ الجيولوجي العريق للمنطقة الوسطى، من خلال إتاحة أكبر كمية من الضوء لتلقي بأشعتها على الترسبات الصخرية والمستحاثات الأثرية التي تتيحها الحديقة للزوار.

وقد جاء إنشاء هذه الحديقة كواسطة عقد فريد من المرافق السياحية المنتشرة في صحراء المنطقة، والتي من ضمنها واحة البداير ونزل الفاية، المتوجان أيضاً بجوائز الفنادق العالمية الفاخرة، وهو تكريم يرسخ استدامة النهج في الجودة والخدمة وتقديم أفضل الخدمات السياحية، في شكل من أكثر أشكالها خصوصية وفريدة، وهي السياحة الصحراوية، التي تستقطب العديد من الزوار عبر العالم.

وتمثل هذه الجائزة ثاني أكبر تكريم عالمي لواحة البداير منذ إطلاقها عام 2019، حيث اختيرت سابقاً ضمن أفضل 25 وجهة؛ في فئة أفضل منتجعات صحراوية

فاخرة في الشرق الأوسط، فيما كان التكريم الدولي الثالث لنزل الفاية، الذي حصل سابقاً على المركز الأول بين 25 متاهلاً للتصفيات النهائية في فئة أفضل فنادق البوتيك الفاخرة في الشرق الأوسط 2020، كما فاز بجائزة «التصميم الداخلي» في حفل توزيع جوائز التصميم الداخلي التجاري العالمي 2019.

وتعزز هذه الجوائز السمعة العالمية لوجهات الضيافة في المنطقة الوسطى، في وقت تقدم فيه الشارقة حزمة من المبادرات المبتكرة لقطاع السياحة والسفر.

مشاهد معمارية

الهوية انتماء وأصالة وعودة للطبيعة بكل ثوابتها وأسسها، لذلك تعكس المدن والبنى الحضرية عادة صورة ذلك العمق الحضاري وذلك الانتماء، في إمارة الشارقة تتضح صورة الهوية العربية الإسلامية جلية في المعمار والواجهات العامة، فالتشكيلات والمرافق الحضرية أخذت شخصيات معمارية واضحة ومتميزة، وفي تلك المشهديات البصرية الكثير من الحضور والكثير من التفرد والخصوصية.

في كل مناطق الإمارة تجد ذلك التصور الأمثل وتلك النمذجة للصورة المعمارية الخاصة، بدءاً من قباب المساجد إلى مناراتها، كما ثمة حضور قوي لتلك الهويات في الخطوط العريضة للمباني والأسواق وكذلك المدرجات والمسارح، تقدم وهجا نابضاً في قلب المدينة يشي بروحها وبصمتها الخاصة.

استحضار التراث لم يغيب عن هذه الرؤية في بناء المدن ومنحها تلك الخصوصية، فالأحياء والقرى التراثية قدمت إطاراً متكاملًا للماضي بكل ما يحمل من قوة، ونلاحظ ذلك جلياً في أغلب المجمعات الفندقية والمتحفية والخدمية في المنطقة الوسطى، حيث تقف المتاحف لتقرب التاريخ الثقافي للمنطقة عبر شواهد أثرية وفي

قوالب مشابهة لتلك الأزمنة، من حديقة البحيص الجيولوجية، التي فازت بجائزة العمارة لعام 2020 «AMP»، تكريماً لنموذجها في التصميم المعماري عالي الجودة وهويتها الخاصة.

كما نلاحظ الحضور المتميز في مليحة وفي الفاية وواحة البداير، وبقية مرافق الضيافة التراثية في المنطقة الوسطى، وكذلك في العديد من الأماكن التراثية الأخرى في عموم المنطقة التي تحمل الكثير من الخصوصية والتفرد من عوالم الصحراء وفضاءاتها، وعلى مستوى المرافق الخدمية تحضر الهوية أيضاً ومن ذلك الشكل الذي أخذ سوق الجمعة في منطقة البطائح المستوحى تصميمه من الهوية التراثية المحلية، حيث يعبر تصميمه عن الهوية القديمة، التي كان يعيش فيها الآباء والأجداد التي كانت بسيطة للغاية، كما صممت جميع محلاته، وفق واجهة مفتوحة ومقامة ضمن أجواء الطبيعة وهي أقرب إلى الأسواق القديمة.

هذه الهوية والشخصية الخاصة ترسمها محددات واضحة في اشتراطات المباني وتفاصيل هويتها تنتهجها الشارقة وفق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وتوصيات المجلس التنفيذي للإمارة بخصوص ترسيخ هذه الهوية وتأكيد فرادتها المعمارية.

تنمية ثقافية

التنمية صورة للإنسان في عطائه وإبداعه واستمرارية هذا الفعل، وتعبير عن حركية الحياة وديمومة العمل وفق مبدأ الاستخلاف والإعمار وتحسين واقع الناس نحو الأفضل، وفي المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة تتواصل الجهود وتمتد روافع البناء، كما تمتد في كافة ربوع الإمارة، هدفها تقديم واقع تنموي مثالي لحياة الناس في بيئاتهم وفق أنماطهم الثقافية الأصيلة.

قرب مدينة الذيد وبقية حواضر المنطقة الوسطى العامرة من مدينة الشارقة
مناشط ومقومات أعطتها ميزات تنافسية، وزادت مستوى المساهمة البناءة، وعززت
توجهاتها وخططها وتطلعاتها المستقبلية في انسجام بين إمكاناتها الطبيعية والثقافية
مع دورها وواقعها التنموي.

الثقافة كانت حاضرة دائماً بكل أبعادها التاريخية والتراثية والمجتمعية مدفوعة
بماضٍ عريق للناس تحمله شواهد الذاكرة والأمكنة، وتم توظيف هذا التراث في
استخدام أمثل للموارد الطبيعية والبشرية والتقنية، لتوفير كافة الخدمات وتسهيلها
أمام زائري هذه المناطق، ما دعم البيئة السياحية والاقتصادية في تكامل مهني على
مستوى الإمارة واستراتيجيات دوائرها المختصة.

فآثار سهوب مليحة والتضاريس الجيولوجية في البحيس والصحاري الممتدة
في المدام والبطائح، ومضامير الهجن و«العزب» والأفلاج والواحات في الذيد
وحواليها، وغير ذلك من عناصر التراث المادي كلها ركائز انبنت على أسسها
صورة المنطقة السياحية فحضرت بقوة في صورتها الإعلامية والثقافية العامة،
وفي التشكيل والانطباعات الذهنية المتداولة عنها محلياً وعالمياً.

كان الفن حاضراً أيضاً عبر مشاريع عديدة، سواء من خلال أفلام وأعمال
سينمائية احتضنتها صحراء الوسطى، أو من خلال مشاريع أنجزت وأخرى قيد
الإنجاز، ومثال ذلك ما عبر عنه العديد من المصورين المشاركين في دورات
المهرجان الدولي للتصوير «اكسبوجر» حين تطلّعوا إلى استلهم صحراء الشارقة
في أعمالهم الفنية، واستحضر موروثها التليد من صقارة وهجن، وغير ذلك من
تراث البادية الذي يجذب اهتمام المصورين والفنانين.

يستمر العمل الثقافي وتستمر التنمية وفق هذا البعد المعرفي الخلاق، مستندة في
رؤيتها على روح الفن وتجليات الأمكنة وتاريخها الأثري، وتدور دواليب الفعل
التنموي لتصنع من هذه الأماكن فضاءات تستقطب الزائرين من كل حدب وصوب،

وترسم الصورة الزاهية التي تليق بالمنطقة وتليق بأهلها، صورة تنموية متكاملة بأبعاد ثقافية متعددة ومتجانسة.

بالكلمة والصورة

يستمر البحث في تاريخ الأمكنة في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، وفي سرد الحكايات الأليفة التي تمس القلب وشغاف الروح، تنبض الحكايات على وجوه كبار السن في ملامحهم الأصيلة، حيث نصافح الطموح في قصص المسؤولين المجتمعيين وهم يرتقون درب القمة، ونسير على أديم الأمكنة، فتخضب أرجلنا الحافية نقوش الرمال، وتستقبلنا السهول والبطاح على الرحب والسعة، ونقترب من الناس في اشتغالاتهم اليومية.

نرصد المنجز التنموي الحافل في المنطقة الوسطى، الذي يتحدث بلغة الإنجاز، ونسلط الضوء على المشهد المتنامي في المنطقة التي تحظى باهتمام خاص من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حيث يوجه سموه دائماً برفدها بجميع الخدمات لتطويرها والحفاظ على هويتها التراثية، وتاريخها وراثتها البيئي والطبيعي، من خلال المجمعات والمراكز البيئية والمحميات والوجهات الترفيهية والمناطق السياحية التي حفظت مقومات الأمكنة وراعت خصوصيات الأهالي.

توثيق هذا الثراء الثقافي والخصوصية المجتمعية مهمة إعلامية كبيرة، وقد عملنا على تقريب هذه الصورة قدر المستطاع بالكلمة، بالكتابة المستمرة، في الاستطلاعات، في استنطاق الذاكرة الجمعية، في مواكبة المتغير، والتطور السريع من خلال المشاريع النوعية.

من جهة أخرى لسنا وحدنا في هذا المشهد، الذي يوثق تاريخ المنطقة الوسطى، فهناك إسهامات بصرية إلى جانب الكلمة المكتوبة، ومن ذلك مبادرة «أفلام بيئية»، وهي مبادرة تصوير وإنتاج أفلام بمعايير عالمية عن الحياة الفطرية في المنطقة الوسطى، وتصوير أفلام لمشروع سفاري الشارقة توثق كل التفاصيل البيئية والمرافق الحيوية والحياة الفطرية والطبيعية والكائنات الحية النادرة.

وقبل فترة أنتج فيلم بصري زاخر استغرق إنتاجه أكثر من عام، وكان هذا الفيلم الوثائقي، تحت عنوان «شريعة الذيد.. أسرار وحكايا»، ويعكس إنتاج وعرض هذه النوعية من الأفلام والوثائقيات، تقديم محتوى ثقافي وتاريخي، يبرز بيئة وتراث وطبيعة حياة أبناء المنطقة الوسطى ومرايا مضيئة تعكس هويتهم الثقافية والحضارية.

سواء كان بالكلمة أم بالصورة، يستمر الرصد والاعتناء بالتفاصيل، وتدوين الروايات الشفهية لأهالي المنطقة، وقنص الشمس في ذروة ضوئها وهي تشرق كل يوم على بطاح تلك المناطق العامرة بمشاريع جديدة وواعدة.

أجندة ثقافية

دائماً ما تكون أشهر الصيف زاخرة بالأنشطة الترفيهية للأطفال واليافعين، وكذلك الأنشطة الموسمية الموجهة للكبار، وخاصة الأسر والفاعلين المجتمعيين والاقتصاديين، مثل مهرجان الذيد للطرب ومعرض الأصايل لمستلزمات الخيول والجمال والصقور.

ومع انقضاء فترة الصيف وعودة الطلبة إلى المدارس، والعائلات إلى الأنشطة يبدأ موسم جديد حافل، يقدم برامج فكرية وتثقيفية وترفيهية عديدة، حيث تحفل

الأجندة الثقافية والسياحية في المنطقة الوسطى بالعديد من الفعاليات والمهرجانات، وتتقدم تلك الفعاليات أنشطة دائرة الثقافة في الشارقة، حيث يتضمن برنامجها السنوي مهرجان الشارقة الصحراوي، في نسخة متجددة بمنطقة الكهيف، عبر تظاهرة ثقافية مسرحية ومجتمعية عالمية تحثي بمفردات الصحراء وتراثها وعناصرها، وسط صحراء الكهيف، في عناق بين الطبيعة وملاحح البادية الأصيلة والفرجة المسرحية.

كما يستضيف المركز الثقافي بالذيد، بعضاً من أمسيات وندوات مهرجان الشارقة للشعر النبطي، حيث ينظم هذا المهرجان مفسحاً المجال لتنافس الإبداع وتلاقح أصوات وتجارب مختلفة تثري مضامين القصائد، إضافة إلى ورش ومعارض عديدة ستحط رحالها في المنطقة ضمن برنامج «كتاتيب»، الذي تحتضنه المساجد ويقدم ورشاً ومحاضرات ولقاءات تعريفية، وقد بدأ قبل سنوات من الآن، بمناسبة تنويع الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية 2014، ويقوم بدور تنويري في تعزيز مكانة المسجد كوجهة للتدريس والتدارس وإحياء الفنون الإسلامية، مثل الخط العربي، وما يحمل من جماليات وإبداع.

تحمل فعاليات المؤسسات الحكومية أيضاً العديد من الأنشطة الثقافية والمجتمعية الأخرى، وتندرج جميع هذه الفعاليات ضمن رسائلها المؤسسية ومستهدفاتها العامة، كما تصب كلها في صالح مجتمع المنطقة.

كما تفتح الجهات التراثية والسياحية أبوابها للزوار مقدمة عروضاً ترفيهية وباقات عديدة، سواء في الذيد أو في مليحة أو في البطائح والمدام، فحصد الذيد ينظم لقاءات مجتمعية، ومن ضمنها جلسة عفوية يومية، يشارك فيها المهتمون بالتراث من أهل المنطقة، يناقشون مواضيع متعلقة بالعادات والتقاليد وقيم المجتمع، كما يقدم مركز مليحة للآثار جولات في رحاب التاريخ.

محركات التنمية

تعد الثقافة وفق أنساقها المتعددة معطى حضارياً للفكر والرقي والتطور، وتعمل إمارة الشارقة وفق هذا المفهوم على مختلف الأصعدة وفي مختلف أرجاء الإمارة، وعبر فعاليات متعددة، على تكريس العمل الثقافي الجاد، وفق دينامية لافتة ومستدامة، تقدم أنموذجاً على المستوى المحلي والعربي.

في المنطقة الوسطى، يتجلى العمل الثقافي والتنموي بشكل مكثف، من خلال المهرجانات، والورش، والندوات الفكرية، والمعارض الفنية، ففعاليات مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي في منطقة الكهيف، حافلة بالعباء المسرحي، وشاركت فيها عروض إماراتية وخليجية وعربية.

وكذلك مهرجان الشارقة للفنون الإسلامية، الذي فتح مءاءات وفضاءات متنوعة للفن، من خلال ورشه في المدارس والمراكز الثقافية وبيوت الله، مقءما الخط العربي والزخرفة والنقش وغيرها من الفنون الإسلامية في أبهى صورها في المنطقة الوسطى.

فالعءل الثقافي، محرك مهم من محركات العمل التنموي، الذي يعمل بوتيرة متسارعة في المنطقة الوسطى، وتتضافر فيه جميع الجهود، الحكومية والأهلية، لذلك تتعدد الأنشطة في هذا المجال، وتختلف فئاتها العمرية وجمهورها المستهدف، لكنها تتكامل في صناعة التذوق الفني وتشكيل الوعي الجمالي العام.

ومثل هذه الفعاليات، في منظومتها العامة متكاملة، فهي جزء من محركات تنموية أكبر، وملح جمالي في نسيج التنمية العامة في ورشها الكبرى في المنطقة الوسطى، التي تستند إلى آليات تشاورية وتشريعية مع المجتمع المحلي، لذلك أرسء الشارقة نظام المجالس البلدية، كهيئات تشريعية وتنظيمية تعمل على بناء ترسانات من النظم لضمان المطابقة والتنظيم وسلاسة العمل التنموي.

{3}

جماليات الأمكنة

أفق الشمس في البداير

لا شيء يشبه الصباح الأول، إشراقته البكر عند مولد الشمس، الاكتشاف والفضول، حين تنز تفاصيله على قلبك، ويغمرك بدهشته الفائقة، تغشى جفونك دفقة الضوء قادمة من وراء السدف والكثبان تنشر ضياءها على حبات الرمل والأشياء، تضيء رويداً رويداً وترمي بخيوطها الذهبية على الرمال الممتدة اللانهائية.

مشهدا الشروق والغروب في صحراء البداير، المترامية الربي على الهضبة العليا من منطقة المدام، في المنطقة الوسطى بإمارة الشارقة، مشهدان رائعان لا يفوتان تومض معهما حكايات القلب والشمس وحبات الرمل والبن في رائحته العربية الأصيلة المشبعة بالود والمحبة والألفة، فهذه الوجهة المغايرة والتي تقدم السياحة والترفيه بشكل متمايز، تقدم توليفة صحراوية وثقافية وتاريخية، تزينها نقاوة الطبيعة في الإمارات، وقصور الأزمنة الغابرة، من خلال مرافقها الفندقية المتكاملة، والذكريات المفعمة المتأججة في صباحات القهوة المحمصّة والشاي المحضّران على الجمر في فجر البادية في رحلات «السفاري» والتخييم بين الكثبان

حين يدلف الشتاء، وتتغير الأجواء وتنتشر لطفها، تتقد الذكريات وتحن النفس إلى دلال الطبيعة في ربوعها النقية، ويجنح الناس إلى الأنس والسمر ومجالس الطبيعة، فتكون الصحراء من الوجهات المفضلة لسكان المدن وللسائحين على حد السواء،

يتعرفون على طبيعة التضاريس والنباتات والعادات الحياتية عن قرب، ويستمتعون بمثل هذه المشاهد البدوية والطبيعية التي لا تمنح المدينة.

رؤية إمارة الشارقة للمنطقة الوسطى، لم تغفل المقدرات البيئية والتضاريسية والسياحية، والإمكانات الطبيعية لهذه الأمكنة والمقاصد المليئة بالألق، فعززت الخدمات الترفيهية في أكثر من جهة هناك؛ وفي البداير، منحت العديد من الخيارات الخدمية والترفيهية التي يجد فيها الزائرون مبتغاهم، ومن ضمن هذه المرافق «واحة البداير» التي تحتل قلب هذه الربوع، كمرفق فندقي طورته هيئة الشارقة للاستثمار والتطوير «شروق» فحوالته إلى منتجع صحراوي متكامل، على هيئة قصور عربية قديمة وسط النخيل، تحيل لليالي العربية والحكايات القادمة من أزمنة بعيدة.

كما تتميز البداير أيضاً بكونها وجهة لعشاق دراجات وسيارات الدفع الرباعي وقيادتها على الرمال الشاسعة، نظراً لكثبانها العالية، لذلك تنتشر الاستراحات الترفيهية، والفضاءات المخصصة لمثل هذه الأنشطة التي تستقطب الناس من كل حذب وصوب في عطلة نهاية الأسبوع وفي الأعياد والمناسبات، ف«بيغ رد» أو «الأحمر الكبير» مألوف بالنسبة للشغوفين ومحبي المغامرة والرياضات الرملية، وهو أكبر تكوين للكثبان الكبيرة بالقرب من الشارقة، يتفنن فيه هواة القيادة على الكثبان الرملية في إبراز مهاراتهم في أجواء آمنة وترفيهية.

وبما أن التخيم على الكثبان شغف ينم عن مغامرة، وركوب الهجن طريقة أخرى للمرح والقرب من التراث، والمشاركة في إعداد حطب التدفئة في ليل البدائر وجه من وجوه الحياة البدوية الأصيلة في أجمل صورها، كما توحى الرمال الذهبية المتأللة الناصعة إلى الامتداد والرحابة والنقاء، وهي كلها صفات من سمات الطبيعة المتأصلة لأهل المكان، فقد عزز عدد من الشركات السياحية المحلية من تواجده في هذه المنطقة، يقدمون حزمًا من الخدمات تتنوع بين جولات الكثبان الرملية والرحلات الطويلة، والتزلج على الرمل، والضيافة، مستفيدين، مما تتيحه المنطقة

الوسطى في إمارة الشارقة من فرص استثمارية في مجال السياحة الصحراوية، وما تمنحه هذه الفضاءات الرحبة من هدوء واستجمام وصفاء.

رحلة في الفاية

كانت الفاية على مر التاريخ، معبراً نشطاً، وتؤكد ذلك الحفريات الأثرية في جبلها الذي شهد هجرات إنسانية في أزمنة سحيقة، كما تثبته طبيعة الجغرافيا والجروف الصخرية وتلال الحجر الجيري المتعانقة مع الرمل والوهاد، وفي تاريخها المعاصر الكثير من الشواهد والمرويات والثوابت الحية، التي تؤكد حضورها وموقعها الاستراتيجي في المنطقة الوسطى، ودورها الرائد الذي يتزايد راهناً، مدعوماً بشبكة سياحية واسعة من المرافق والمنشآت تسلط الضوء على تاريخها.

وقد أتيت لي رحلة عمل قادتني في جولة لطيفة سلكت بنا دروبها القديمة، كان دليلي فيها رجل أصيل من أهل البادية، ووجيه من وجهاء المنطقة، أخذنا على دروب القوافل القديمة التي ألقت خط وادي الفاية المستقيم منذ الأزل بين الجبال، ونقاط الآبار التي امتاحتها دلاء العابرين والغافات السمحة التي استظلت بها ركبناهم فاستطابت الراحة والمقيل تحت عرائشها التي تتخللها النسائم الباردة.

مخرت بنا سيارة «الاند كريزر»، التي يقودها مهير عبيد الكتبي عباب الرمل، وتدرجت فوق نتوءات الصخور، تسير بنا وقد تناغم الحديث مع التاريخ، فحسبت نفسي امتطي تلك السيارات التي ظهرت في خمسينيات القرن الماضي، من قبيل «بيدفورد» و«اللاندروفر»، وكانت «شيشة الفاية» محطة استراحتها وهي تدرع المنطقة جيئةً وذهاباً في رحلات طويلة تنقل فيه المؤن والبضائع والركاب.

بين الجبلين، عبرنا كما كانت تعبر ركائب العيس، وتضيء الشمس الوادي، عاكسة ظلال القوافل الطويلة، تميز محملة بالزاد، تميز أهلها، فتخيلت قوة الناس وصبرهم وشكيمتهم، وتطويعهم للظروف، وأمام جلال الغاف السامق وقفنا، نستحضر ذكريات بعيدة تسردها الأمكنة، ويردها الجبل، فتعود صدى قوي الرجوع؛ هنا أول مزرعة، وذلك مكان طوي عمير، وذلك موقع أول محطة بترول، وهنا كان الدكان والمقهى والعيادة، وذلك بيت حمد العويس، الذي أحب المكان وأهله، وساهم في ازدهار المكان وجلب معلماً لتدريس الناس.

ذكريات ومعالم كثيرة لا تحيط بها الكلمات، وثمة محاولات رصينة لتوثيقها، فقبل فترة وقع بين يدي كتاب قيم هو «الفاية لؤلؤة الصحراء على شواطئ الوديان»، قدم فيه صديقنا وصديق مجلة «الوسطى» الوفي الكاتب خليفة بن حامد الطنجي توثيقاً مهماً لهذه المنطقة وما تتميز به من أصالة وتاريخ، ودعم صفحات كتابه بالوثائق والاستشهادات عن أهميتها التاريخية، ومكانتها الاستراتيجية كمعبر تجاري، وما تزدان به اليوم من مرافق سياحية وخدمية، تشكل واجهة معاصرة للمنطقة الوسطى، تستعيد رونق التاريخ وتقدمه للزائر بشكل معاصر، يضيف إلى مجدها القديم مجداً جديداً، ويؤكد حيوية المكان.

منارات مُنمنمة

الأماكن كنز الذاكرة، وافتتانات القلب، ومتسع الحكايات الشاسعة، يجد الإنسان في تفاصيلها دوماً حيوات أخرى لحياته، وثرء في عمره ولحظاته، يركن لمرايع الصبا، وملاعب الطفولة، وبيوتات المنبت ومجالس الأهالي، تلتصق الذاكرة بتلك الجدران البعيدة، ويحن القلب لعطر تلك القصص الشفيفة للبطاح والمنارات المُنمنمة.

للأماكن دوماً حضور في الفن وفي الشعر وفي الآداب وفي الذاكرة الجمعية للإنسان، وتحضر جليلة بمختلف عناصرها، من خلال الطبيعة، وفي الأماكن، وفي الوجوه، في الروائح، في التجليات المختلفة للتراث.

ضمن منظومة إمارة الشارقة واستراتيجيتها الثقافية، يستحضر الفن تفاصيل الأمكنة دائماً من خلال فعاليات عدة، يكتشف فيها الجمهور روحه عبر الأماكن، فتزیده ارتباطاً، ويستند على ذلك الجذع الأصيل الثابت من منبت الجذور، والذي لا تحركه غوائل الريح.

في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، يتجلى ذلك في مهرجانات الشعر والمسرح والمعارض الفنية، حيث يحضر الفن رديفاً للأماكن، يقدمها بكل جمالياتها الروحية ويعكسها متلائة في ثنايا الروح والوجدان، كجوهره بارقة، وقد طالعنا مهرجان أضواء الشارقة، في لوحاته البصرية، عبر دوراته، وكيف يستطيع الفن تقريب المسافة بين البصر والقلب، وبين الملموس والمحسوس، تغزل أمواج الضوء على الكثبان وعراجن النخل في ليل البادية، وتكرر المشهد في مهرجان المسرح الصحراوي، حيث وظفت الإضاءة تفاصيل الأماكن، وتاريخها، في مشهديات بصرية، جعلت أفئدة المشاهدين تهوي في غواية الذاكرة، يعيشون حكاية الأماكن وتفصيلها؛ أبواب البيوت وبراجيلها، والقلاع وشموخها، ومضارب الخيام وأوتادها، والنخل والكثبان والواحات وربوات والحصى، والقرى والتجمعات الحضرية في شكلها المعاصر مع تشكل المدينة.

«أضواء الشارقة»، ليس مهرجاناً فحسب، بل فسحة شعرية تكتب قصائد الجمال، وترتقي بالذائقة الجمالية، وتثري تجربة الحواس، وهي تتحدث من خلال لغة الفن على واجهات الصروح والمعالم والعمران والأمكنة، ففي مدينة الذيد، نشر عرض «المنارة» للفنان بنيامين بيروكس، رسائل الأمل التي تقدم الشارقة من خلال الثقافة، وقدم مزيجاً من الألوان والمؤثرات الضوئية لتحويل المناظر إلى أجواء

مختلفة، فعكس الشارقة كوجهة للعلم والمعارف والفنون والثقافة، ومنازة شارقة يلعب ضياؤها وسط الصحراء، تهفو إليها أحلام وتطلعات الناس، تعلي قيم الثقافة والإنسانية والخير والأمل وتحقيق الأهداف والشغف نحو المستقبل.

تلك الرسالة الذي قدم هذا الفنان، من خلال عرضه البصري المتوهج بالرؤى على واجهة مبنى تلفزيون الوسطى في الذيد، وقدم غيره من الفنانين العالميين، في هذا المهرجان، وغيره من مختلف مهرجانات ومعارض وفعاليات الشارقة العديدة، تختزل رسالة الإمارة الثقافية العالمية، ودور الفن المبدع الحديث في توظيف التراث العريق، وتأكيد مكانة الإمارة كموئل للمعرفة ومنازة للثقافات.

أجمل شتاء

في كل شتاء يضرب الزوار من كل أرجاء الدولة موعداً مع صحراء الشارقة، نظراً لما تتميز به من رحابة وسعة وصفاء، وتستقبل صحراء المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة عشرات الآلاف من الزوار كل شتاء، فمع اعتدال الطقس وتردد النسائم الباردة على الكثبان الذهبية يحلو اللقاء والسمر، واجتماع العائلات في جلسات شتائية طويلة ومحبية تؤنس الأهالي كل عام، يلتقون فيها وسط أجواء آمنة

مع تدعيم البنية السياحية في المنطقة الوسطى، وفتح العديد من الوجهات أبوابها أمام السياح تتكامل الأنشطة الشتوية لزائري المنطقة، وتعزز الذيد وبقية الحواضر من جاذبيتها كأفضل الوجهات في الدولة، حيث تجمع بين مراكز التراث والسياحة الأثرية والحصون والقلاع، والمناطق التاريخية والمحميات البيئية، إضافة إلى البراري المفتوحة والأماكن المخصصة للتخييم، والتي يحلو فيها السمر بعد اكتشاف وجهات المنطقة نهراً.

إن افتتاح سفاري الشارقة في محمية البردي بالذيد لبيئة وادي النيجر، أضافت بعداً جديداً للسفاري، حيث سيستمتع الزوار بمشاهدة الفيلة تعيش في بيئتها الطبيعية وبدون أسوار، وتعود تسمية هذه البيئة إلى اسم نهر النيجر، أو نهر الأنهر كما عرف قديماً، وتحضن هذه البيئة فيل السافانا الأفريقي إلى جانب مجموعة من الأنواع الأخرى من الطيور والنباتات الأفريقية.

وترفد هذه المناشط بيئة فندقية زاخرة، ابتداء من واحة البداير، ونزل الفاية وحتى نزل القمر، وغيرها من الوجهات التي تقدم خدمات فندقية عالمية تصحبها لك حتى وسط الصحراء، تصحو فيها على مشاهد محببة للنفوس، مثل شروق الشمس، وتمدد خيوطها على الرمل اللامع، الموشى بآثار الظباء والغزلان، التي تمرح حوالي هذه المنتجعات، كما تشاهد مناظر الغروب والسماء المرصعة النجوم، في هدوء ملهم، حيث تنسجم الحواس مع الطبيعة، بعيداً عن صخب المدينة وضغوطها.

يعزز هذه الجاذبية السياحية لصحراء المنطقة الوسطى دون غيرها، برامج ثقافية زاخرة، تجذب الزوار إلى تراث البادية، ومن أبرز هذه الفعاليات مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي بمنطقة الكهيف، وغيره من الأنشطة والفعاليات التي تجعل من شتاء الشارقة أجمل شتاء.

الحديقة الجيولوجية

الأجواء الباردة والمطرة، التي تعرفها الشارقة والإمارات بشكل عام خلال الموسم الشتوي، جعلت الكثير من الناس يحزمون حقائب الترحال وهم يُيممون شطر «البر»، يستمتعون بتبديل الطبيعة، يلامسون بأقدامهم الحافية الكثبان الحمراء المبتلة بالودق، الذي جاء طيباً بعد عارض وسمي حمل الخير وبشارات الغيث،

ويمتعون أنظارهم بجريان السيول في الأودية وتدفق الماء النмир، وهو يغير وجه النبات والأرض.

علاقة أهل الأرض بالمطر علاقة قديمة، فهي رمز الخير والنماء، تسم الأرض ببساط جديد قشيب من الخضرة، ما يعني وفرة في المرعى والكأ، ترفد الينابيع والخزانات الجوفية، وكذلك للأفلاج، تُسرق مساربها بالماء، وتدفقها عذبة، بين الصخور، تطفئ ظمأ جذوع النخل ونسغ الأشجار، وتهبها الحياة.

وقد جادت هذه الأمطار وأسبلت في المنطقة الوسطى، فسقت الأودية والمراعي والواحات، فنمنمت برسومها على جوانب البطح كأجمل ماتكون الطبيعة، التي تحكي قصة تمتد لعصور جيولوجية سحيقة، عبر تكويناتها التضاريسية المتنوعة، المتناسقة في تشكيلاتها غرب منحدرات جبال الحجر.

فالرمال الحمراء، والصخور الرسوبية البيضاء، من عصور لاحقة، بعد انحسار الماء، والربوات الكلسية، المضيئة بعد صبيب المطر، كلها تقدم معلومات عن تاريخ المنطقة الطبيعي، وقد جاء افتتاح الحديقة الجيولوجية في البحيص بمنطقة المدام في وقته، ليسد نقصاً في مثل هذا النوع من السياحة، ويقدم معلومات شيقة إلى محبي التاريخ الطبيعي، يمنحهم معطيات ودلائل تاريخية، عبر رحلة تعرف بمراحل تشكل الطبيعة المحلية قبل ملايين السنين، ويطلعهم على التكوينات والأدوات واللقى الأثرية القديمة، والخرز وعظام الحيوانات والنباتات، والأشكال المتحجرة للعديد من الكائنات القديمة التي استوطنت بحاراً ضحلة كانت تغمر معظم اليابسة حتى فترة قريبة من المنظور الجيولوجي.

افتتاح الحديقة الجيولوجية، جاء ضمن رؤية وتوجيهات الشارقة، بهدف تعريف الزوار والسكان بالأهمية الجيولوجية لجبل بحيص والمناطق الأثرية المحيطة به، وإتاحة الفرصة لزوار المنطقة لاستكشاف تاريخ الشارقة الثري.

وقد صممت هذه الحديقة هيئة البيئة والمحميات الطبيعية بالشارقة، وفق مسارات مرنة، تعرف بكيفية تكوّن أبرز المعالم الجيولوجية في المنطقة، مثل سلسلة جبال الحَجَر، والجبال المنفردة الأخرى، والسهول الحصوية، وكثبان الرمال، إضافة إلى المواقع الأثرية، التي تسهم في تعزيز معرفة تاريخ الاستيطان البشري لهذه المنطقة، الذي يعود إلى أكثر من مئة ألف سنة.

في تلال المنطقة الوسطى يجد قاصدو الصحراء دائماً بغيتهم، حيث ازدانت مؤخراً أيضاً، بمتحف تاريخ الدفع الرباعي بمنطقة المدام، كأول متحف متخصص بهذه الفئة من السيارات، وأثر هذه المركبات في حياة أهل المنطقة في النصف الأخير من القرن العشرين.

وهذا المتحف، وغيره من الوجهات، مثل الحديقة الجيولوجية، لا شك أنها مقاصد ترفيهية جاذبة، ستعزز فاعلية المنطقة الوسطى السياحية، وتقدم إسهاماً معرفياً وتاريخياً وتنموياً يضاف إلى منظومة التطوير المستدامة، التي تنتهجها الشارقة في أرجائها.

سياحة بيئية

مفهوم السياحة البيئية مصطلح حديث نسبياً، يعبر عن نشاط سياحي صديق للبيئة، يمارسه الإنسان، محافظاً على الميراث الفطري الطبيعي والحضاري للبيئة بشكل يتناغم وينسجم مع محيطه الذي يعيش فيه، ويمارس فيها نشاطه وحياته، لذلك أصبح من أهم أنواع السياحة المستدامة التي تحظى بتفضيلات الدول والحكامة في استراتيجياتها التنموية، التي تستهدف الحفاظ على التراث الطبيعي والثقافي للأماكن وللطبيعة ومواردها ولحقوق الأجيال القادمة فيها.

إمارة الشارقة تبنت هذه السياحة مبكراً، لما تحمله من فوائد ومكاسب متعددة، أقلها الحفاظ على البيئة وتشير الأرقام إلى تناميها، فوفق إحصاءات هيئة البيئة والمحميات الطبيعية بالشارقة، زار أكثر من 600 ألف زائر محميات الإمارة في عام 2019، منهم 117535 زائراً لمزرعة الأطفال و158419 زائراً لمتحف التاريخ الطبيعي والنباتي و213905 زائرين لمركز حيوانات شبه الجزيرة العربية، أما الحديقة الإسلامية فقد زارها 62478 زائراً، وزار مركز واسط للأراضي الرطبة 26897 زائراً، ومركز كلباء للطيور الجارحة 9373 زائراً، ومركز الحفية لصون البيئة الجبلية 16177 زائراً.

ستستفيد هذه السياحة المستدامة في المنطقة الوسطى من إرثها الزاخر والطبيعة المتنوعة، لامتلاكها مقومات بيئية ضخمة، تمتد بين الصحاري الشاسعة والواحات، والتشكلات الجيولوجية التي تعود لمختلف العصور، والمحميات، وقد بدأت الجهات الوصية في استغلالها بشكل فعال، لرسم مكانة بارزة لها على خارطة السياحة وكنوز الطبيعة في الإمارات، وضمان الحفاظ على البيئة واستدامة مواردها الطبيعية وتنوعها، فعلى سبيل المثال فتحت العديد من الوجهات الجديدة كالحديقة الجيولوجية بالبحيص، ومركز الذيد للحياة الفطرية، وهي منظومة تعرف بتراث المنطقة وبنيتها وثراء تنوعها وتروج لمقوماتها السياحية.

كما تتكامل أدوار هذه المرافق السياحية والبيئية مع أدوارها المجتمعية والثقافية، حيث تقدم دوراً توعوياً، سواء من خلال الأنشطة والبرامج وفعاليات الترفيه ومتعة التعلم والاستجمام، كما أنها قاعدة علمية للرصد وللأبحاث والدراسات العلمية لصون التنوع الحيوي في البيئة المحلية، تدرس الحيوانات التي تستوطن المنطقة وطرق إكثارها، وتحرس جمال وتنوع النباتات وتطورها عبر العصور.

من خلال هذه البنية والرؤية تحمل البيئة مقومات رئيسية مهمة في استراتيجية الشارقة، تصون التنوع الحيوي للحياة الفطرية، بوصفها ثروة بيئية ووطنية وثقافية

وحضارية، ويتم العمل على تعزيز هذه التوجهات، والتي تتعدد من خلال المشاريع والحملات والتوعية المجتمعية والمنظومات التشريعية، وتتحد في هدف استدامة الموارد الطبيعية وحماية مواطن التنوع البيولوجي، في وقت يتجه فيه العالم نحو الاقتصاد الأخضر، للحد من الاحتباس الحراري والتصحر والتلوث، لما يعززه ذلك من زيادة في الناتج المحلي المستدام للدول، ما يدعم السياحة البيئية، التي بلغت نسبة نموها حول العالم 20 % من إجمالي حركة السياحة الدولية.

وجه المطر الحسن

فرح الأهالي بأمطار الخير التي تهاطلت بغزارة على ربوع المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة وشملت مختلف أنحاء الإمارة، كان كبيراً، إذ تعد هذه الأمطار نادرة في منسوبها وتوقيتها، إذ كانت آخر مرة نزلت صيفاً وبمثل هذه الغزارة قبل عقود من الزمن، وقد ملأت هذه الأمطار وادي الذيد الكبير والوديان المجاورة، فتدفقت الثقوب والأفلاج، وامتد جريان الماء في أودية الزبيدة وسهيلة وبراق والعديد من الأودية الأخرى.

الفرح الذي صنعه المطر أشاعته مواقع التواصل الاجتماعي أيضاً في عدوى سعيدة لنشر السرور، من خلال تداول مقاطع فيديو متنوعة من مختلف مناطق المنطقة توثق جريان الأودية وتهاطل الأمطار، ومرآحتها بين الطل والرّش والتماعات البروق والارتسامات القزحية وكثافة الغيوم وتفجر الينابيع، ورحلات البر على الكثبان الرملية المبللة الصقيلة، التي شهدت توافد العديد من المتنزهين، القادمين من مختلف مناطق الدولة، والذين خرجوا للاستمتاع بهذه الأجواء اللطيفة والمنعشة.

وقد أتت هذه الأمطار في ظل حملة زراعية شاملة وتوجهات للاستفادة القصوى من المراعي والسهول والأراضي الزراعية والاستثمار الأمثل لمقدرات المنطقة الوسطى في هذا المجال، وقد استبشر المزارعون بها، لما تحمله من بشارات موسم زراعي جيد، بعد حصاد رطب وفير قدمه «مقيظ» هذا العام، كما ارتوت الأرض وفاضت السدود والأفلاج، متدفقة نحو المزارع، وبين باسقات النخيل في شريعة الذيد وباقي الواحات، باثة السرور والفرح، راسمة منظراً محبوباً لوجه المطر الحسن وسط الماء والخضراء.

جاهزية فرق الطوارئ الأمنية والبلدية في المنطقة الوسطى جديرة هي الأخرى بالتنويه، إذ تكاملت الجهود على الطرقات وفي الميادين، وعبر أرقام الطوارئ، مسهمة في بث الطمأنينة، وتوجيه الناس وإزالة الأضرار الناجمة عن الأمطار وجريان بعض الأودية، حيث قامت بسحب برك مياه الأمطار المتجمعة في شوارع وتقاطعات التجمعات الحضرية في بعض مناطق الذيد ومليحة والبطائح والمدام، واستخدمت لذلك الآليات والمضخات والصهاريج، كما أزلت فرق الطوارئ الرمال والحفر، لتأمين سلامة الأهالي، وأغلقت بعض الطرقات التي تتقاطع مع معابر الأودية، ووجهت العابرين إلى مخارج أخرى بديلة آمنة، إضافة إلى إنقاذ العديد من السيارات العالقة بسبب جريان الماء.

جوهرة الرمال

مع توالي النسمات الأولى لموسم الشتاء، وإقبال الناس على ارتياد المساحات المفتوحة في صحراء الإمارات، بكل مقوماتها الجمالية، من صحراء نظيفة وكثبان مرسومة وجبال منحوتة وآثار تاريخية شاهدة بين الكثبان، تؤكد صحراء الشارقة

فراستها دائماً كجوهره فريدة وصقيلة وسط الرمال، متنوعه وحافلة بما يجذب الزوار، ومليئة بالأسرار، من خلال ما تبينه مواقعها الأثرية، وما تقدمه من شواهد تاريخية، كان آخرها الاكتشافات الأثرية في منطقة مليحة التي تعود إلى العصر العباسي الأول «123-218هـ/750-833م»، ضمت مسكوكات و32 سيفاً امتازت بتنوع أشكالها.

إن السياحة التاريخية منبع الحكاية الأول، من خلال سرد التفاصيل، والقوافل التي مرت من هنا، وتحدث عنها مسكوكاتها المتداولة، وسيوفها الحديدية المزوقة، وجرارها وخيلها ورجلها، ونقوشها الباقية المسطورة في كتاب التاريخ.

وقد رسمت الشارقة، كعاصمة عالمية للثقافة والفنون، نموذجاً فريداً في تقديم التاريخ وروايته في سرديات معاصرة جذابة، من خلال متاحفها وصوامعها الفكرية ومراكزها الأثرية والبيئية، التي دمجت مختلف الوسائط، وقدمتها في أحسن القوالب المعرفية، المناسبة لمختلف الأذواق والمستويات، وقد كان حظ المنطقة الوسطى كبيراً من تلك التوجهات الثقافية الحكيمة والاستشرافية.

وقد حظيت المنطقة الوسطى بمجال واسع من هذه الجهات والمراكز والمحميات، مثل: مشروع مليحة للسياحة الأثرية والبيئية، ومتحف الشارقة للتاريخ الطبيعي والنباتي، والحديقة الجيولوجية في بحيص، وقد أصبحت هذه التجربة الثقافية مثلاً يستدل به في السياسات الثقافية واستراتيجيات تطوير البنى التحتية المتحفية، تلهم العالم وتلفت اهتمامه للاستفادة من هذه التجارب والخبرات، في الحفاظ على التراث والبيئة وتحقيق الاستدامة في الموارد، والإبداع في ابتكار المنظومات المتكاملة للسياحة البيئة والتراثية على مستوى المنطقة.

ومن نماذج هذا الاهتمام العالمي، زيارة السيناتور جون لوفندر رئيس وزراء حكومة جيرسي، التي تتمتع بحكم ذاتي وتتبع للتاج البريطاني، حيث تريد هذه الحكومة التي تقع في القنال الإنجليزي شمال غرب أوروبا، الاستفادة من تجربة

الشارقة في قطاع البيئة والمحميات الطبيعية وحماية المواقع الأثرية، والحفاظ على تراثها الثقافي وحمايته، حيث زار حديقة بحيص في المنطقة الوسطى سنة 2021.

إن هذا الاهتمام ليس وليد الصدفة، بل وليد شبكة من العمل الدؤوب والرؤية الثقافية التي انتهجت إمارة الشارقة منذ عقود، للتعريف بالإرث التاريخي والحفاظ على هوية المكان والإنسان والحفاظ على الطبيعة والترويج لتاريخ الإمارة الجيولوجي، وبناء حواضن لهذا التنوع، ترعى النباتات والأشجار والحيوانات الصحراوية، لتقوم بدورها في النظام البيئي الأوسع، ترفدها منشآت سياحية فاخرة، تعزز مرافقها بشكل دائم وتتوسع مع مشاريع المنطقة الطموحة، ومنها على سبيل المثال «منتجع البردي» في مدينة الذيد، ضمن مشروع «سفاري الشارقة»، والإعلان عن بدء استقبال «نزل القمر» المطل على صحراء مليحة والصخور الأحفورية لجبال الفاية لزواره، كما تمت توسعة «واحة البداير» في صحراء البداير استعداداً لسياحة بيئية ثقافية شتوية خلابة.

وُجُهَات وَمُغَامِرَات

بين حي الزعفران وجبل عمر سيكون مدخل وجهة سياحية جديدة في الذيد، عبارة عن بحيرة صناعية تمتد على طول أكثر من كيلومترين، وعمق 3 أمتار، يمر من فوقها جسر يزيد منظرها جمالا وبهاءً، فضلاً عن كونها سترفعُ مناسب التخزين من المياه، حيث تتسع لـ 420 مليون غالون، وتوفر مخزوناً احتياطياً كبيراً للمنطقة تحتاجه المشاريع الزراعية الكبرى، فإنها أيضاً ستلطفُ الجو وتُقلل من حدة درجات الحرارة.

وبين نقطتين تبدأ من قطاه وحتى لبحير على طريق محافز - الفاية، أنجز مسار خاص للدراجات الهوائية على مسافة 30 كيلومتراً، يعبر من البطائح ومليحة، يتيح بيئة هادئة وأمنة لممارسة هذه الرياضة، التي تعد من أهم الرياضات الصحية المناسبة لجميع الفئات العمرية، ويتكون هذا المسار من حارتين وبعرض إجمالي يبلغ خمسة أمتار مع أعمدة إنارة خاصة، ويأنف هذا المسار وسط طبيعة جميلة مليئة بالأشجار وقريبة من تجمعات يمر بها العديد من مرتادي ومحبي البر والصحراء.

قبالة جبل الفاية الأشم، حلقت مظلات الطيران الشراعي، ملونة السماء، ومعلنة افتتاح مركز «مغامرات السماء» كأول مركز رسمي متخصص ومرخص في الدولة للتدريب على الطيران الشراعي، يتيح ممارسة هذه الرياضات وسط الطبيعة البكر، مع إطلالات علوية استثنائية على تدرجات الكثبان الرملية والصخور الأحفورية، وقطعان الإبل المائسة بين الوهاد، والعديد من المناظر الملهمة التي تتيحها منطقة الفاية، التي كانت على مر الزمن كتاباً مفتوحاً للتاريخ، وأصبحت خلال السنوات الماضية وجهة لهواة ومحترفي هذه الرياضات من مختلف أنحاء العالم، ومحطة من أهم محطات بطولاتها.

مشاريع سياحية ورياضية نوعية يجري العمل على بعضها، وتم افتتاح بعضها الآخر، تدعم قطاع سياحة الرياضة والمغامرة والترفيه في المنطقة الوسطى، وتؤكد أنها في صدارة الفعل التنموي في إمارة الشارقة، وهي كلها مشاريع تنشد التنمية والرفاه والصحة، وتوفر بيئات نموذجية تشجع على عيش أنماط حياة صحية، في أجواء نقية وأمام مناظر فسيحة وبديعة، ستضيف الكثير للمنطقة، كما ستشكل ملاذاً لأهل المدن من خارجها، يجدون فيه فسحاً مغايرة تمتص الإجهاد الناتج عن أساليب الحياة الحديثة، ويمارسون فيها الترفيه والرياضات والهوايات المفيدة.

{4}

سنابل الخير

نهج الاستدامة

الابتكار هو العنوان الأبرز لمشاريع الاستدامة في إمارة الشارقة، والتي تعمل كلها من أجل البيئة وصون التنوع الحيوي، وإنشاء مشروعات تلبي احتياجات الحاضر دون الإخلال بالنظم البيئية للأرض، وقدرة الأجيال على تلبية احتياجاتهم المستقبلية بشكل مستدام، وتهدف إلى تمكين الوصول إلى الطاقة النظيفة، والحصول على غذاء صحي وكاف، وتوفير الجودة في التعليم والرعاية الصحية، وخلق نمو اقتصادي مستدام، وأنظمة بيئية سليمة، وزيادة كفاءة الموارد، وهي كلها مستهدفات وطنية وأمية للاستدامة.

واتضحت هذه الاستراتيجيات جلية في المنطقة الوسطى، من خلال العديد من المشروعات التنموية، كان من أبرزها المشروعات الزراعية والغذائية الاستراتيجية في مليحة، وفي الذيد وبقية المناطق، والتي تعمل كلها وفق أعلى المعايير الصحية لتحقيق الأمن الغذائي الوطني، مقدمة علامة «صنع في الإمارات» رمزاً من رموز الجودة، وفتحت فرصاً عديدة في مجالات التنمية المحلية والزراعة والإنتاج الحيواني، كما نظمت المراعي والسهول لتطوير هذه المشروعات الاستراتيجية.

قبل سنوات من ذلك، أنشأت العديد من المراكز البيئية المختلفة في المنطقة الوسطى، والتي احتفت كلها بمقدرات المنطقة البيئية والنباتية، وكان من ضمن هذه

المراكز منتزه الصحراء الذي يضم مرافق عديدة، مثل مركز حيوانات شبه الجزيرة العربية، ومتحف الشارقة الطبيعي والنباتي، والحديقة الإسلامية، ومزرعة الأطفال، بالإضافة إلى مراكز التعلم العديدة الأخرى، كمشروع مليحة للسياحة البيئية والأثرية، وحديقة جبل بحيص الجيولوجية، والعديد من المحميات، التي تشرف عليها هيئة البيئة والمحميات الطبيعية، كمحمية الظليمة، والمنتثر، والغاية، ومليحة، والبردي، التي يقع في نطاقها الجغرافي «سفاري الشارقة»، والذي احتضن مؤخراً النسخة الـ22 من منتدى الشارقة الدولي لصون التنوع الحيوي في شبه الجزيرة العربية، وهو واحد من مؤتمرات بيئية عديدة في الإمارة؛ تستشرف الآفاق المستقبلية للاستدامة، وتنتشر الوعي حول القضايا البيئية والأبحاث والدراسات المتعلقة بها.

لقد كرست إمارة الشارقة نهج الاستدامة على الدوام في مختلف مشروعاتها، وكان من أبرز هذه المشروعات، على سبيل المثال لا الحصر، مشروع مدينة الشارقة المستدامة؛ كأول مشروع يلبي أعلى معايير الاقتصاد الأخضر والاستدامة، وكذلك جائزة الشارقة للاستدامة، التي تستهدف المدارس والجامعات لخلق منظومة مجتمعية للتنوع الحيوي، كما تعد مجموعة «بيئة الشارقة» نموذجاً للشراكة بين القطاعين العام والخاص لتقديم حلول مبتكرة في قطاع الاستدامة، من خلال تشكيل مدن المستقبل الذكية، ومجالات إدارة النفايات وإعادة التدوير والطاقة.

أمن غذائي

عرفت المنطقة الوسطى منذ زمن بعيد بسهولها الشاسعة المفتوحة التي تعد قبلة للانتجاع، نظراً لخصوبة أراضيها وخضرة مراعيها وعذوبة ينابيعها الرقراقة، كما عرفت وحتى وقت قريب كأجمل الأماكن التي تشهد هجرات «القيظ» التي تتفياً

ظلال النخيل في فلج الشريعة وواحات الزيد، حيث يفد إليها القادمون من مختلف المناطق لينصبوا أعرشتهم بالقرب من هذه الواحات كي يستفيدوا من أفضل أنواع الرطب وأفضل الأصناف الغذائية الموسمية.

وقد أفصحت آثار مليحة وأدواتها الأثرية القديمة عن استخدام قديم لزراعات القمح وطحن الحبوب بالرحى، واليوم تواصل المنطقة الوسطى حركة التاريخ وتتطلع لتكون سلة غذاء وطنية، حيث تبلورت مشاريع زراعية عديدة تتطلع لتحقيق اكتفاء ذاتي وطني في ظل متغيرات دولية تتطلب الأمن الغذائي، ويتجه فيها العديد من دول العالم إلى تأمين الحاجات في ظل الضغوطات على سلاسل التوريد للعديد من السلع الغذائية، وخاصة في مجال الحبوب.

خطت الشارقة خطوات بعيدة في هذا الاتجاه، ورسمت استراتيجيات واعدة لنهضة زراعية تحقق هذا التوجه، من خلال المراعي والمزارع النموذجية والمتخصصة، والبيوت الزراعية التي تنتج أصنافاً عضوية ذات جودة عالية، وفق أحدث التقنيات الزراعية من نظام الري والتسميد ونظام التبريد والتهوية والري بالتنقيط، التي تقلل استهلاك كميات المياه، وتوفر القيمة الغذائية الغنية، فضلاً عن التسهيلات والإرشاد والتوجيه.

وقد ساعد في ذلك أيضاً طبيعة المنطقة الزراعية وإرادة المجتمع المحلي المتكاتف، حيث ولدت مبادرات قدمت منتجات نوعية، حيث توجد تجارب عديدة في المنطقة الوسطى لزراعة ثمار غير محلية، ونجحت هذه التجارب في العديد من الأنواع، ودخلت الأسواق كمنتج وطني خالص قادم من المنطقة الوسطى في إمارة الشارقة.

وكما تهتم هذه المشاريع بالأمن الغذائي، فإنها لا تغفل الأمن الصحي، في الوقت الذي تنهش أجسام المستهلكين ملوثات المنتجات المستوردة، حيث تشجع الزراعة

وفق ممارسات صحية وبيئية، مثل الخضروات العضوية لتوفير غذاء صحي، خال من الكيماويات.

إن البيئة تعكس حضارة المجتمع وثقافته في التعامل مع معطيات الطبيعة والممارسات البشرية، وقد أشارت إلى ذلك قرينة صاحب السمو حاكم الشارقة، سمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي رئيسة المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، وذلك في مقالين متتابعين، نشر في صحيفة «الخليج»، يومي «19 و 25 مايو 2022»؛ الأول منهما وسم بعنوان «الغذاء.. الشارقة تعود للطبيعة» والثاني: «الشارقة.. والاستدامة البيئية»، تحدثت فيهما عن مضي الشارقة في اتجاه تحقيق رؤيتها لصحة الإنسان، ودعم المبادرات التي تجعلها المدينة الأنموذج، لأفضل الممارسات المحافظة على قيم الحياة والاستدامة، التي تستثمر في المستقبل، وتتجلى نتائجها للأجيال المقبلة.

سنايل الخير

أفق ذهبي تتماهى فيه انعكاسات صفائح الشمس مع السنايل الذهبية على مد البصر، وتكسر فيه المساحات الخضراء حدة الروابي وتموجات الكثبان في قلب الصحراء، وهي كلها ملامح جديدة من ملامح النماء والازدهار والرؤية الزراعية الواعدة للمنطقة الوسطى.

فمنذ أعوام أطلقت حكومة الشارقة نظاماً عديدة للرعي وللمنتزهات وللزراعة بأنواعها، كان آخرها إطلاق المرحلة الأولى من مزرعة مليحة، كما بزغت مبادرات زراعية مجتمعية عديدة من طرف الأهالي والمستثمرين في هذا المجال فأثمرت جهودهم حصداً مباشراً في مختلف المنتجات، ومن ضمنها القمح الذي يحظى باهتمام كبير، نتيجة لمسوغات وطنية ودولية، وتوجهات استراتيجية لتدعيم

الإمكانات الطبيعية في مناطق الشارقة، وتحويلها إلى أماكن إنتاج زراعي وحيواني كمشروعات مستدامة توفر فرص العمل وتدعم المنتجين والغذاء الصحي السليم، وتحول المنطقة الوسطى إلى سلة غذاء وطنية، تدعم الأمن الغذائي.

نثر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة البذور الأولى في الموسم الزراعي لزراعة القمح، كما أهدى المزارعين بذورا أصلية لهذه المادة، مباركا انطلاقا زراعية واعدة ومبشرة، وتم حصادها بعد أربعة أشهر من ذلك، ودعا الجميع إلى الزراعة والاستفادة القصوى من الإمكانات والتسهيلات المتاحة للمزارعين عموماً، وللمستثمرين منهم في زراعة هذه الأصناف من الحبوب خصوصاً.

ولأن القمح يحتاج إلى العديد من العناصر الغذائية، والكثير من المتطلبات والظروف المناخية والبيئية لزراعته، مثل التربة الطينية الثقيلة والغنية بالمغذيات ذات السعة المائية، فقد وفرت الشارقة كل هذه الوسائل، واشتغلت على تهيئة 400 هكتار زراعي بكل المواصفات المثالية، ونصبت منصات الرشح المائي بالمواصفات المثالية للتقطير، ووفرت الآليات والجرارات المناسبة لتقليب التربة وتهيئتها، فضلاً عن المواكبة التقنية وفق أحدث الممارسات في مجال الهندسة الزراعية والذكاء الاصطناعي والتحكم في الري عبر بيانات الطقس والتربة.

كما تم توفير السماد العضوي ووزعت دائرة الزراعة و الثروة الحيوانية دليلاً إرشادياً لزراعة القمح في البيئة المحلية، ورافق ذلك حملات توعية، ومواكبة إشرافية للتوجيه وتقاسم الخبرات والتجارب والمعرفة، لزراعة قمح بمواصفات صحية وغذائية، وحصاد نموذجي من هذه المادة التي تدخل في صناعة العديد من أطباقنا الغذائية، من المخبوزات حتى المعجنات، وغيرها من الأغذية المستندة على الحبوب الكاملة ودقيق القمح ونخالته وأليافه وما تحمل من خصائص معززة للصحة

زراعة صحية

استقبل المستهلكون قمح «سبع سنابل» بالكثير من الترحيب، فتم تداول مقاطع فيديو لزبناء من داخل فروع جمعية الشارقة التعاونية، التي عرضته بعبوات وأحجام مختلفة في منافذ البيع أواخر رمضان، مستبشرين بهذا المنتج المحلي الذي عكفت عليه أياد إماراتية زراعة وإشرافاً وتسويقاً وتوزيعاً، ونقشت كلمات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، معالم طريق واضحة له، حين قال: «كنا نأكل مما نستورد، والآن أصبحنا نأكل مما نزرع».

لقد كانت 100 يوم هي الفترة التي أخذها قمح الشارقة من البذر حتى الحصاد، مئة يوم مليئة بالعمل والجد والاجتهاد والتطلع لتقديم منتج وطني نوعي يساهم في الأمن الغذائي، ويرفع من إسهام مزارع الشارقة في الاكتفاء الذاتي من مادة القمح، وتقديم غلة بمواصفات صحية، وبنسبة بروتين تبلغ 18%، متقدماً على المنتجات المستوردة المتوفرة في الأسواق المحلية، والتي لا تصل نسبة البروتين فيها إلى أكثر من 11%، وفي أحسن الأحوال تصل 14%، وقد حاز هذا القمح 5 شهادات معتمدة في الجودة، بناء على طريقة زراعته ونوعه ومواصفاته.

اتجهت العديد من دول العالم مع الظروف والمتغيرات الدولية الجديدة إلى توطين القمح، لكن سهول مليحة ليست بغريبة على هذه الزراعة، فقد عرفت المناطق المنبسطة في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة والمناطق الجبلية المرتفعة في المنطقة الشرقية زراعة القمح منذ أزمنة بعيدة، كما أن لها علاقة وطيدة بالزراعة، وكما قال صاحب السمو حاكم الشارقة، فهي تعود اليوم بكل فخر، وقد كان موقع مزرعة مليحة مناسباً لاستزراع القمح، فتربتها طينية خالصة لا شوائب فيها، إذ كانت هذه البقعة مجرى مياه يتجه من الجبال ناحية الفاية ومنها إلى البحر، والترربة فيها صالحة ليس بها أملاح ولا حصى، لذلك كانت سهلة ويسيرة.

النموذج الذي قدمه مشروع مزرعة القمح في مليحة نموذج رائد، وقد استقطب اهتماماً دولياً ومحلياً وحظي بزيارات وشراكات واسعة علمية واقتصادية مع جامعات ومراكز أبحاث وشركات، للاستفادة من هذه التجربة، وتطبيقها على نماذج زراعية عديدة، وقد رأينا كيف قدم مشروع «الصوبات» الزراعية تجربته الملهمة أيضاً في زراعة الخضروات العضوية، وقدم هو الآخر اتجاهات لا رجعة فيها، انتهجتها إمارة الشارقة نحو الأمن الغذائي وزراعة صحية ومستدامة.

رؤى التطور

المشاريع التنموية المتوالية في المنطقتين الوسطى والشرقية من إمارة الشارقة مشاريع عمادها الأول والأخير الإنسان، فهي موجهة له ولرفاهه، ومن أجل أسس وأنساق تنموية مستدامة كان لا بد من إيجاد حواضن لتكوين وتدريب وتمكين هذا الإنسان من أدوات المعرفة الأولية والأكاديمية، وتطوير منظومات العمل والشراكة العلمية والبحثية، وانسجامها مع رؤى التطور والتنمية في هذه المناطق.

فبعد افتتاح جامعة خورفكان المستقلة التي كانت فرعاً من جامعة الشارقة، والعمل على افتتاح جامعة كلباء 2023، يُهيأ فرع الذيد ليكون جامعة مستقلة تُفتتح أيضاً 2024، صرح تعليمي ستكون له خصوصيته واهتماماته المتناسبة مع إمكانيات ومتطلبات المنطقة ومقوماتها التنموية والاقتصادية والطبيعية.

فرع جامعة الشارقة بالذيد الذي يقع في ضواحي المدينة، والذي بدأ التدريس فيه منذ ست سنوات، وبالضبط في سبتمبر 2015م، استطاع تقريب الخدمات التعليمية من أبناء المنطقة الوسطى والمناطق المجاورة، وفق منظومة تتيح مفاتيح العلم قريباً من البيئة الأصلية، حيث القيم والعادات، كما عمل من خلال كلياته الخمس

«كلية الشريعة، الآداب، إدارة الأعمال، القانون، الاتصال»، على المساهمة في تنمية الاقتصاد المحلي، ورفده بأطر فاعلين يمتلكون أدوات علمية منهجية قائمة على التحليل والاستقصاء والبحث والدراسة.

بعد عامين ستتوسع هذه المؤسسة العلمية الأكاديمية، من خلال صرح جامعة الديد، مع كليات جديدة، فاتحة آفاقاً أخرى تستفيد من إمكانيات المنطقة الطبيعية، ومنفتحة على تخصصات شاملة في الزراعة والبيطرة والمجالات الرعوية وعلوم الصحراء، مستفيدة من رصيد متراكم في المنطقة من العمل على إكثار البذور، ورعاية البيئة، وإنشاء المحميات والمراعي وعزب الهجن وتحسين السلالات، وحدائق الحيوانات ومراكز إكثارها، والتي كان آخرها سفاري الشارقة بالديد، ومراكز الأبحاث العلمية المتخصصة في صون التنوع الطبيعي والحيوي.

وكلها بيئة خصبة ستشكل مضماراً للمتعلمين والباحثين والمتدربين لاختبار معارفهم وتطوير مهاراتهم، في بيئة علمية، وداخل مرافق تتيح أفضل طرق التعليم والتعلم، وأفضل الممارسات النظرية والتطبيقية في العلوم الزراعية والبيئية، قوامها توجهات تحافظ على التراث وتراعي الحاضر وتواكب المستقبل، وكما قال صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، سنتفتح هذه التخصصات مسارات متعددة من حيث تأهيل أبناء المنطقة بالعلم النافع، وإحياء موروثها، وتوفير فرص العمل، والحفاظ على البيئة ومكوناتها، والمساهمة في تنمية تنوعها البيئي الحيوي.

وإذا سافرنا في هذا المنجز، نرى كيف تحولت تلك المدينة إلى وجهة للتعليم الجامعي في المنطقة الوسطى، بعد نصف قرن على تأسيس أول مدرسة ابتدائية فيها، وكيف بلورت رؤية التعليم لإمارة الشارقة واستراتيجيتها مخرجات نوعية، فجامعة الشارقة في الديد تعد اليوم من أهم الصروح التعليمية الوطنية، وهي وجهة تستقطب مئات الطلاب كل سنة، يتعرفون في رحابها على مختلف العلوم، وتواكب متطلبات الأهالي بتوفر مرافق تعليمية عصرية وقريبة منهم، تلبى تطلعاتهم.

كما تراعي استراتيجية التعليم والتكوين مختلف المراحل العمرية، فورش الأطفال، والمخيمات الصيفية، ومراكز الطفل والناشئة في الذيد والمدام ومليحة والبطائح، مواكبة لكل هذه العملية، وتهدف مختلف فعالياتها الترفيهية والتربوية إلى تكامل الحلقات، قصد بناء منظومة تعليمية قوية، والارتقاء بالعملية التعليمية وهي عملية متكاملة تتطلب تضافر كافة الجهود للنهوض بها والوصول إلى أعلى المستويات.

وتراعي كل هذه التوجهات المحافظة على أصالة المنطقة، بكل ما تحمل من موروث وعادات، لذلك يعد التعليم أكبر حافظ لهذه الأخلاقيات، وترسانة قوية للمجتمع يحصنه من الكثير من الانزلاقات والعادات الدخيلة، ويتماشى ذلك مع توصيات صاحب السمو حاكم الشارقة، بخصوص حفظ تقاليدنا الإسلامية والعربية الأصيلة والتمسك بقيمتنا وموروث حضارتنا التليدة.

حراك حيوي

حراك من الفعاليات يبرز وتيرة التنمية في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، والديناميكية الاقتصادية والتنموية المتسارعة على مختلف الأصعدة، ويتجلى ذلك في زخم المعارض والمهرجانات، حيث تضخ هذه الفعاليات ذات الطابع المجتمعي والتراثي نبضاً جديداً، وتقدم بصمة إضافية للاقتصاد وللتنمية المحلية، وتضفي حضوراً مجتمعياً لافتاً، من خلال المشاريع الصغيرة والمتوسطة، التي تتحرك تحت سقف واحد وتتواصل مع جمهور عريض، حالها كحال مؤسسات وشركات متخصصة وتجارب ريادية في مجالاتها تحضر في صميم هذه الأحداث والأنشطة

فقد فتحت قرية ميدان الذيد التراثية أبوابها، ضمن الفعاليات المصاحبة لمهرجان صاحب السمو حاكم الشارقة لسباقات الهجن، وشكلت هذه القرية فسحة مجتمعية للأسر المنتجة، تماما كما شكل الحدث الرئيسي فرصة لإحياء التراث وإبراز الوجه الناصع لرياضات الهجن، وتشجيع ملاك العزب ومربي الإبل على الحفاظ على هذا الموروث.

كما احتضن مركز إكسبو الذيد مهرجان الذيد للتمور محققاً نجاحاً كبيراً على صعيد استقطاب آلاف الزوار، وشكّل للعارضين من المجتمع الزراعي، والفاعلين فيه، فرصة لتسويق وبيع التمور المحلية والمنتجات المرتبطة بها، كما نجحت النسخة الرابعة من معرض التخميم والمغامرات، في إثبات مكانة الذيد بعد أن شهدت زيارة آلاف المهتمين، تعرفوا على أحدث تجهيزات التخميم ومعدات ومنتجات الرحلات، في ظل موسم شتوي تهفوا فيه قلوب الزوار من كافة أرجاء الدولة وخارجها إلى طلعات البر في صحراء الشارقة.

لم تتوقف الأنشطة والفعاليات عند هذا الحد؛ فقد احتضنت جامعة الشارقة- فرع الذيد معرض الوسطى للعمل التطوعي الذي نظّمته جائزة الشارقة للعمل التطوعي، وسط مشاركة عدد من الجهات الحكومية والمؤسسات ذات النفع العام، حيث تعرف الشباب عن قرب على قيم التطوع وأهمية هذه القيم المجتمعية ورسوخها العميق في ثقافتهم الأصيلة، كما نظمت عشرات الفعاليات والأنشطة الثقافية والرياضية في الأندية الثقافية والرياضية في عموم المنطقة الوسطى.

حراك حيوي نابض أبرزته هذه المهرجانات والمعارض التي تنوعت في أنشطتها الرياضية والتراثية والمجتمعية والاقتصادية الزاخرة، كما أضفت حيوية على مناشط مجتمع المنطقة، وعززت من الجاذبية التجارية والاستثمارية لمدينة العامرة، التي تزدان كل يوم بمشاريع جديدة، ومرافق خدمية وسياحية شيدت لتنمية ورُقّي المجتمع، ولتعزز من التنافسية الاقتصادية لهذه الجهات.

{5}

في خضم التطور

مدارس الصحراء

للصحراء إمكاناتها الهائلة، كمدرسة وحاضنة أصيلة للقيم العربية التليدة، وميداناً فسيحاً للصبر والمثابرة، فقد علمت فضاءاتها الرحبة العزيمة والهمة والنباهة والفراسة، وخبر أهلها في فيافي اليباب كنوز القناعة وغنى النفس، فكانوا شموساً مضيئة كنخلاتها الشامخات الباسقات وكالتمعات برق المطر على أطناب الخيام ومنابتها العميقة في الأرض إن صدعت تباشير الغيث.

في صحراء الشارقة كنوز من العطاء والهمة ومورد متجدد لفسح الحياة، وعطاء الطبيعة، فمن مزارع الذيد وأفلاجها الرقراقة في المنطقة الوسطى سطعت دوماً قصص الإرادة والعمل والأمل، ومن بطاح أوديتها الفسيحة في البطائح والمدام ومليحة لمعت دائماً حكايات العصامية والاجتهاد والجد.

في الماضي ساس الناس زمنهم، وفق إمكانات تلك الفترة وما تجود به الطبيعة، فكانوا ركائز في كتاب التاريخ، يميرون أهلهم ويعبرون الأمكنة وهم على ظهور العيس، يحفظون قيم وسيرة المكان وتاريخ الأرض، ويتفياون ظلال الغاف والنخل، واليوم يحمل أبناء المنطقة ذات القيم التليدة، المتناقلة عبر الأجيال، ويسوسون زمنهم بالإرادة والعزيمة والعلم والعمل، فمشاريع الزراعة تستفيد من أفضل تقنيات

الهندسة الوراثية والحلول الذكية في سهول الذيد، ومشاريع السياحة البيئية في مليحة والبطائح تقدم نماذج عالمية في دمج الموروث الثقافي بخدمات الترفيه الفخمة، وهذا أحد ابناء المنطقة الوسطى قدم مؤخراً مشروعاً رائداً للاستفادة من إمكانات الصحراء من خلال مشروع علمي طموح يقدم منظومة حلول شاملة في مجال الطاقة الشمسية والطاقات المتجددة.

ابن الذيد، وابن صحرائها الفسيحة، المهندس حمد مصبح الطنجي، مخترع كرم عالمياً على اختراعاته التي استوحاها من الأرض ومن عطاء الصحراء، ومن أشعة شمسها اللاهبة ومن قيظها اللافح، لم يستسلم، بل استند إلى العمل، وفكر في توظيف الإمكانيات من حوله، ويرى بناء على نتائج مسوحات علمية أن «الشارقة أغنى إمارة من حيث موارد الطاقة المتجددة، لأن سهولها المستوية والنظيفة مناسبة لإقامة منصات ومشاريع الطاقة الشمسية العملاقة، كما أن سرعة الرياح تسهل من فرص إطلاق مشاريع رياح ضخمة فيها..».

مشاريع واعدة مثل هذه تجسر الهوة بين الحاضر والمستقبل، وتقارب الحاجات، وتصنع فروعاً تنموية جوهريّة، فالزراعات البديلة والسياحة البيئية ومشاريع الطاقة المتجددة، ملامح وعناوين كبيرة في التطلعات العالمية للمستقبل، وتكامل مثل هذه المشاريع وفق إمكانيات البيئة يصنع نتائج عظيمة، إذ بدأت الزراعة الحديثة تستفيد من توجيهات التقنية تحت صفائح الألواح الشمسية ومحددات هندستها التوجيهية، وهو ما مكن من زراعة أنواع من النباتات والثمار والفواكه، لم تكن لتثمر في غير أراضيها الأصلية، وحملت لنا الأخبار مؤخراً عن تجارب لزراعة الأرز في الذيد

مشاريع الطاقة المتجددة مشاريع صديقة للأرض والإنسان والمستقبل، استطاع العلم من خلالها إقامة مزارع للأسمك وسط الصحاري، وصحراء الشارقة توظف إمكانيات هذه الطاقة النظيفة حالياً في العديد من المراعي الطبيعية والمشاريع التنموية والسياحية الواعدة.

تبقى الصحراء ولادة وعظيمة ومحفزة، صبورة ومعطاء وقادرة على مواصلة المسير، رغم كل الظروف والمشاق، كجمل صبور، فمن رحمها صنعت المعجزات وولدت الحياة دائماً.

مجالس الوسطى

تحفظ الذاكرة المجتمعية للمجالس التقليدية حضوراً خاصاً، يتجلى عميقاً في الوجدان والمكان، كوجهة معنوية معتبرة للأهالي يفدون إليها للحل والعقد وفسحة تلمهم للحديث والتشاور وترسيخ القيم، يجتمعون في ظلها؛ خيمة أصيلة انبنت ركائزها على التعاضد والتكاتف ونقل الموروث، ودوحة كريمة وفضاءات محببة تأسست على التلاقي والحميمية والصلة والمودة.

في المنطقة الوسطى، إضافة إلى مجلس البستان في الذيد، ومجلس جبل عمر، وكذلك مجلس سهيلة، أعلن عن إنجاز مجالس جديدة في الذيد؛ مجلس في الطيبة، وآخر في تل الزعفران، وهي مجالس في عمومها تخدم المجتمع في المنطقة الوسطى وتجمع الأهالي في لقاءات، يعيدون من خلالها نقاء الماضي وحبل التعاون الذي لا ينفصم، يفتلون نسيجه بقوة، كما كان آبؤهم وأجدادهم يفعلون، وكما كان السلف، يسировون في ظلهم، وجميل أخلاقهم وحكاياتهم، يجتمعون ويتحدثون ويتسامرون ويتزاورون.

لهذا أنشئت مجالس الضواحي والقرى في عموم إمارة الشارقة، حواضن اجتماعية تحيي أصالة الماضي، وتوصل صوت الأهالي إلى المسؤولين، وتضطلع بأدوار ومسؤوليات في الرقابة وإدارة الأحياء وتطويرها، والسهر على مصالح سكانها وكل الأمور المتعلقة بحياتهم وشؤونهم، تعزيزاً للتلاحم المجتمعي، وتوطيداً

لأواصر الترابط الاجتماعي والعلاقات بين الجيران وأهل الحي السكني الواحد، كما دأبت عادات «الفريج» و«السكيك» الواحد في الماضي، يعرف فيه الجار حال جاره، ويطمئن الناس فيه على بعضهم، ويتعاضدون في المسرات والأفراح، و«يفزعون» في الملمات، كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

وتهدف هذه المجالس، في صميم عملها إلى توفير أفضل ظروف العيش لهم، من خلال توصيل رسالتهم إلى صانعي القرار، وتدارس ومعرفة متطلبات سكنهم وأحوالهم ومعاشهم والخدمات التعليمية والصحية والثقافية والاجتماعية التي يتلقون.

وتأخذ على عاتقها أمن وأمان الأحياء، ورفع الوعي وتكريس الثقافة المجتمعية العامة، حيث تساهم في الحفاظ على الأمن المجتمعي، ضماناً لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، وترصد كل ما من شأنه أن يعيق انسجامه العام من مسلكيات أو ظروف تخدش عادات الأهالي وتقاليدهم المجتمعية، فضلاً عن تقوية أواصر الترابط الاجتماعي والتعاون والتراحم والمودة والإيثار والكرم و«الفزعة».

هذا ما أوصى به صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، أبناءه، مؤكداً دور هذه المجالس في ترسيخ التعاون والمودة والحفاظ على الموروث التليد بين الأهالي، ونقل القيم إلى الأجيال حين قال: «نحب أن نحيا عادة الكرم الموروثة من الآباء والأجداد، وأن يكون أبنائنا من الكرام، ليكرموا ضيوفهم، وأن تكون الكرامة لكل من يرد على الضاحية أو الحي، وأن يستغل أبنائنا هذه المجالس في هذا الأمر، ويستقبلوا ضيوفهم فيها ويكرمهم، ونتمنى التوفيق للجميع بإذن الله».

تكاتف الوقت الاستثنائي

في بيئة اجتماعية متماسكة تمتاح من الأصول والانسجام، مثل المنطقة الوسطى، وكذلك إمارة الشارقة والإمارات عموماً، وتترسخ ثوابتها على المودة والتقارب الاجتماعي، اختار الناس هذه الأيام خيار «التباعد الاجتماعي» الذي نصحت به المنظومات والتوجيهات الصحية الوطنية والدولية لصد «كورونا»، ولأن المصلحة العامة من تكاليفات الشريعة والضرورة والواجب الوطني والضمير الأخلاقي الإنساني، فقد استجاب الأهالي لهذا المطلب الصحي الملح، رغم صعوبته في بيئة لا تعرف إلا التزاور والتواصل.

الإجراءات الاحترازية التي اتخذت الجهات الحكومية في المنطقة الوسطى إبان جائحة كورونا، كانت سباقاً وباكراً من حيث التدخل الوقائي والتوعية والتنظيف الصحي، وجاء برنامج التعقيم الوطني، لتستنفر كافة البلديات والقطاعات جهودها في تطهير الشوارع والمرافق الخدمية والأماكن العامة التي تشهد إقبالاً وتدفعاً جماهيرياً، في الذيد والبطائح ومليحة والمدام.

لقد تعاونت مختلف الجهات والمصالح في هذا الوقت الاستثنائي، وأدارت الأمور بمستوى عال من الجاهزية في حالات الطوارئ، وهم يواجهون تهديدات صحية غير مرئية تهدد الصحة العامة، مستعينين بالمعدات المناسبة لذلك من وسائل الرش والمطهرات وملابس الوقاية، هدفهم الارتقاء بالصحة وسلامة الناس.

وتعاون السكان بمختلف الانسجام والأريحية مع هذا البرنامج، لما فيه من مصلحة عامة، حيث اختاروا المكوث في البيوت، ورب ضارة نافعة، حيث وجدت الكثير من الأسر الفرصة للتواصل الحميم بين أفرادها وتوظيف الكثير من الوقت في التعلم ومتابعة أمور الناشئة عن قرب، وهم يتابعون دروسهم الافتراضية عن بعد.

كورونا، ماهو إلا اختبار بشري، كما أشار صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في رسالته إلى المواطنين والمقيمين بخصوص هذه الجائحة، وطمأنته لهم بخصوصها، حيث أن الابتلاءات ماهي إلا اختبارات، تواجه بالصبر والإرادة والعزيمة، ناصحاً إياهم بالمواظبة على تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته وقصصه، وتوظيف الوقت فيما هو مفيد، والتكافل والتكاتف الاجتماعي في مثل هذه الأوقات، ومتابعة شؤون الأبناء وإحسان تربيتهم لما في ذلك من مسؤولية.

الأهالي كما التزموا وواظبو على كل المسلكيات الصحية والحياتية المفيدة، التي تعززت في هذه الأوقات، والتي ربما كنا نعرف بعضها ونتهاون في بعضها الآخر، علينا جميعاً وعليهم، بعد انجلاء هذه الغمة الاستمرار في نفس النهج، من ناحية الإدارة الذاتية للوقت، والالتزام بالوقاية الصحية وأساليب الحياة المفيدة، والمواصلة في هذا الاتجاه، من أجل غد أجمل.

قيم النفع العام

لقد رأينا خلال جائحة «كورونا» مستوى التضامن المجتمعي الكبير وروح المسؤولية الأخلاقية والمجتمعية، من خلال المتطوعين بكافة أطيافهم، شركات ورجال أعمال وفاعلين اجتماعيين وأفراداً عاديين، انتظمت جهودهم ومساعدتهم لصنع الفارق في حياة الآخرين، خاصة من الفئات الهشة والعمالة البسيطة، ولمحنا الجاهزية العالية في تضافر وتكامل الجهود، وتنسيق المبادرات والمساندة الاجتماعية، والاستعداد الكبير للبذل والعطاء وخدمة المجتمع، بالوقت والخبرة والجدد والمال، تحوهم رغبة صادقة وخالصة بلا من ولا شروط ولا مقابل.

فالتطوع قيمة من قيم المجتمع نبيلة وثمره من ثمرات روحه الأصيلة القائمة على التضامن والمبادرة والأخوة الإنسانية وحمل الكّل، ونجد هذه الثقافة الرفيعة حاضرة في المجتمع الإماراتي، تورق شجرتها وتزهو أغصانها وتمد ظلالها الوارفة لتشمل كافة مناحي الحياة ومبادرات الخير والعطاء الإنساني.

لقد شاهدنا الكثير من الأنشطة والفعاليات ومبادرات التطوع في المنطقة الوسطى وفي إمارة الشارقة عموماً، وكان وجهها ناصعاً من خلال فاعلي الخير وبتنسيق من الجمعيات الخيرية الرسمية والأهلية، تضافرت جهودها في فترة استثنائية وخاصة، لم تكن كالسنوات السابقة، وقامت بجهودها بمنتهى الحرفية تحركها ثقافة التطوع والعطاء.

لقد كانت الشارقة سباقة دائماً لترسيخ هذه الثقافة النبيلة، بوصفها صفة وملحاً اجتماعياً قوياً يؤكد قوة المجتمع وتعاضده، كما كرست هذه الثقافة من خلال التكريم وتشجيع الرواد وجنود الخفاء في هذه المبادرات، فجائزة الشارقة للعمل التطوعي، تعد الأولى من نوعها على مستوى الإمارات والعالم العربي، حيث وجه بإنشائها سنة 2001 صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ومنذ عقدين من الزمن وهي تعمل على دعم التطوع وجهوده ومبادراته وتكريم الرواد في مسيرته.

جهود التطوع الطبية والفنية والمدنية والاجتماعية كانت حاضرة أيضاً في مثل هذه الظروف، وقد أصدر المجلس التنفيذي لإمارة الشارقة، قراراً يدعم هذه التوجهات، وجاء بخصوص إنشاء وتشكيل لجنة التطوع في إمارة الشارقة، التي تهدف إلى تنظيم التطوع خلال هذه الجائحة، ووضع المعايير والضوابط المتعلقة بتطوع الموظفين في مثل هذه الأزمات، وتنظيم وتنسيق إطلاق المبادرات التطوعية، والتنسيق بخصوص المبادرات التطوعية المتاحة في إمارة الشارقة من خلال مركز الشارقة للتطوع التابع لدائرة الخدمات الاجتماعية.

العمل التطوعي، عمل أصيل يرفد المجتمع ويوجه الطاقات، ويستثمر في روحه المحركة، وهم الشباب، من خلال توجيه عطائهم وإمكاناتهم نحو المكارم وقيم النفع العام، وتشجيعهم على وضع بصمتهم الإيجابية، وصلل كفاءاتهم الحياتية بما ينفع الناس ويمكث في الأرض، كما ترتقي ثقافة التطوع بالمجتمع عبر بذرتها الخيرة التي تغرس وقيمها المفيدة التي ترسخ ومبادراتها الإنسانية المؤثرة والمستدامة.

العودة الآمنة

التدابير الاحترازية لعودة الناس إلى أعمالهم ومناشطهم وأمر حياتهم اليومية، بعد انقشاع غيمة كورونا، والتوجه الأمثل لتلافيها وفق شروط جديدة، رافقه الكثير من الإجراءات الصحية عبر العالم، حيث عملت السلطات والجهات الرقابية والصحية على تنظيم العودة الآمنة، بما يضمن استمرارية النشاط في ظروف صحية سليمة وغير ضارة وتحفظ السلامة المجتمعية العامة كهدف رئيسي وأساسي لهذه العودة.

حكومة الشارقة، كانت سباقة، على مستوى الإمارات، التي قدمت نموذجاً عالمياً رائداً في التصدي لهذه الجائحة وتبعاتها، فوجهت هيئتها وطواقمها بتنظيم عودة تدريجية إلى الأنشطة، بدأتها بالفحوص الطبية للموظفين الحكوميين في عموم الإمارة، قبل التحاقهم بمقار عملهم، ومن ضمنهم، موظفو حكومة الشارقة بالمنطقة الوسطى، حيث أجرت دائرة الموارد البشرية بالشارقة بالتعاون مع منطقة الشارقة الطبية فحوصات فيروس كورونا المستجد «كوفيد 19» للتأكد من سلامتهم قبل مباشرة العمل.

كما زارت وفود من مختلف الدوائر الحكومية والهيئات فروعها، ونسقت من أجل مواكبة العودة التدريجية لأعمالهم ومهامهم المنوطة بهم، وما يتطلب ذلك

من تدابير، راعت في مجملها السلامة والصحة الوقائية، وتطبيق الإجراءات الاحترازية المتمثلة في التباعد الجسدي المكتبي في بيئات العمل، وعبر الحواجز العازلة في الفضاءات المكتبية المفتوحة، والتي تضمن ترك مسافات بين الموظفين وهم يؤدون خدماتهم، مع ارتداء القفازات والالتزام بتغطية الأنف والفم بالكمادات، كما رافق ذلك توفير آليات الفحص كنشر بوابات الفحص الحراري عند مداخل المؤسسات، وتوفير أدوات التعقيم والمطهرات، للعاملين والمراجعين لهذه المرافق الخدمية والحكومية.

المبادئ المهنية والميثاق الأخلاقي يفرض اشتراطات جديدة في عالم ما بعد «كورونا»، وتعمل توصيات الموارد البشرية على تدريب وتهيئة معرفة جديدة حول هذه الظروف وحول هذا الوعي، حيث عملت هذه الجهات على تكريس الوعي والخبرة حول أسس الوقاية الصحية، والعمل في ظل هذه الظروف، من خلال إرسال الوسائط المختلفة والنشرات العديدة، التي استهدفت الموظفين والعمال ومختلف الشرائح.

عودة أمنة تتطلب منا الكثير من الوعي، والكثير من فهم معضلة عالمية تفتح عيوننا على وعي يتجدد بالصحة يختبره الناس اليوم، سيزيد المسؤولية الاجتماعية، ويزيد التلاحم المجتمعي، والمنطقة الوسطى ليست بمعزل عن إمارة الشارقة وعموم الإمارات، أرست ثقافة الوعي الصحي والتلاحم والمساندة المجتمعية من خلال مبادرات حكومة إمارة الشارقة وأهل المنطقة الطيبين، الذين قدموا نماذج ناصعة في وقت عصيب مر.

وقد استطاعت هذه الجهود أن تتكامل وهذا التنسيق أن يتواصل ويستمر، كان نجومه فرسان خط الدفاع الأول، في مواجهة هذا الفيروس، من طواقم طبية وفرق تعقيم وطنية، وجهات وسلطات مساندة، وصلت الليل بالنهار لحماية الأرواح

والأنفس وأعدت البهجة والحبور للشوارع والدور في كل ركن ومكان من المنطقة الوسطى بمدنها وحواضرها وقراها العامرة، وفي عموم مناطق إمارة الشارقة وإمارات الدولة.

أنفاس ونسمات

بعد رفع الحجر المنزلي وفترة طويلة من العزلة توجه آلاف الزوار إلى المحميات الطبيعية في المنطقتين الوسطى والشرقية من إمارة الشارقة قادمين من مختلف أنحاء الإمارات، حيث تدفقت أرتال السيارات جموعاً وفرادى يبحثون عن أنفاس ونسمات تأنس بها الأرواح بين «لمة الأصحاب الأحاب» وجمال الطبيعة.

وإذا طالعنا التقارير الصادرة عن هيئة البيئة والمحميات في الشارقة، من خلال المسح الدقيق لبواباتها، فقد ولج آلاف الزوار إلى مركز حيوانات شبه الجزيرة العربية ومتحف التاريخ الطبيعي والنباتي وحديقة بحيص الجيولوجية والحديقة الإسلامية، كما تدفق العديد من الزوار إلى منتزه الصحراء، ومتحف الشارقة للتاريخ الطبيعي والنباتي، ومزرعة الأطفال، ومركز الذيد للحياة الفطرية، ورمى العديد من هواة التخيم بأطناب خيامهم على التلال المفتوحة، وفي الأماكن المخصصة لذلك، والتي تتوسع رقعتها نتيجة لإقبال العائلات والرحلات الجماعية من مختلف أنحاء الإمارات وتحمل المقومات الجغرافية الطبيعية لهذه الجهات الكثير من الميزات التنافسية، ووفق العديد من الأبحاث الاجتماعية، والدراسات السلوكية، التي ترصد رغبات السائحين، فقد بدأ الناس خلال العقد الأخير يجنحون إلى الأماكن المفتوحة، وعززت الجائحة العالمية هذه الرغبات لدى الناس.

لذلك تعود السياحة البيئية بقوة، مستفيدة من الطقس الشتوي الخلاب في الإمارات، واعتدال الطقس، والأمان، وتوفر الخدمات بكافة أنواعها، وسرعة تلبيةها، كما تواكب هذه الاهتمامات مشاريع تلبية هذه التطلعات وهذا الشغف، مشاريع تحمل الطبيعة بكل سحرها ودهشتها إلى الزائرين إلى إمارة الشارقة وربوع المنطقة الوسطى، وفتحت العديد من الفرص أمام شبابها لتعريف العالم بروح الإمارات من الشارقة، وهي تؤكد لهم أن كل شيء ممكن، وأن الأحلام لا تتوقف، وكذلك الإنجازات، التي تشيد هناك وهناك، وهدفها الأول خدمة ورفاه الإنسان.

استثمار في الغد

تكرس الرؤية التنموية منطلقات عديدة، ومن ضمنها الحواضن الثقافية والرياضية والشبابية، التي ترعى المواهب وتوجه الطاقات، وتستثمر في المهارات وتنميها، إذ لم تعد الأمور في عموم العالم قائمة على الارتجال، بل لا بد من خطة استراتيجية طويلة المدى في كل المجالات للحصول على نتائج مرضية على المدى البعيد.

في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة تعمل مراكز الأطفال والناشئة والأندية الثقافية والرياضية كحلقات تنموية وتربوية منتظمة ومتكاملة، وهي تستثمر في الغد وتشكل المستقبل، حيث تدفع عجلات الأولى دفة العمل لإيجاد مخرجات نوعية قبل ولوج الثانية، فخلال الطفولة المبكرة تعمل هذه المراكز على تشكيل وتأصيل الهوية والانتماء الوطني والثقافي للبراعم، قبل تكوينهم تكويناً مثالياً لدخول معترك الحياة، زادهم مواهبهم الأدبية والفنية، والعلمية، والرياضية، في المراهقة وبعد هذا التأطير والتكوين والتحضير المبدئي، تفتح لهم الأندية الثقافية والرياضية الأبواب على مصراعها للإبداع وإفراغ الطاقات الخلاقة.

وقد حددت هذه الأندية تفرعات عديدة حسب اختصاصاتها، ووفق فئات وفرق سنوية، وقد رأينا كيف تألفت هذه الأندية بفضل فرز النوابع بين صفوفها، وحصدت الجوائز في محافل وطنية ودولية، وفي مسابقات شملت مختلف الفنون والعلوم والرياضات، من مهارات الشطرنج إلى صناعة الروبوت، ومن السباحة والرماية إلى الكارتيه.

التاريخ الحديث لتأسيس هذه الأندية ونشأتها إذا ما قارناه بحجم الإنجازات يؤكد حجم الرؤية التنموية للقطاع الرياضي والشبابي، وتطور مستوى هذه الاستراتيجية، التي قفزت بهذه الفرق إلى مراتب الصدارة، وما كان ذلك ليكون لولا دعم ورعاية هذه الأنشطة ورسمه لمسارات التطور المجتمعي من حواضن الطفولة إلى أندية الشباب، وعنايته الفائقة بالرياضة والرياضيين وأصحاب الإنجازات منهم، والذين شملتهم مكرمه أخيراً في محافل انتظمت في أندية المنطقة الوسطى تحفيزاً وتشجيعاً على الأداء والتميز.

ما يليق بمليحة

ممارساتٌ عديدةٌ؛ تقض مضجع المسؤولين والفاعلين المجتمعيين؛ وحتى الناشطين البيئيين، كونها تقوّض الآفاق التنموية والسياحية، بعضها يقع في طائفة المخالفات والتجاوزات، ومعه أنه أحياناً يكون عن حسن نية، إلا أن الأمر يكون أكثر خطورةً والتباساً، إذا كان على مناطق التماس مع الموروث الأثري، والمواقع التاريخية، وتمثل بعض هذه التجاوزات في عزب الحيوانات غير المرخصة، والمزارع العشوائية؛ المخالفة والمهجورة، وكيفية تنظيمها بالطريقة القانونية السليمة، التي تحافظ على البيئة البرية الصحراوية التي تتميز به منطقة مليحة، بكل ما تحمله من قيمة أثرية.

وفي وقتٍ سابقٍ عقدت دائرة شؤون البلديات والزراعة والثروة الحيوانية، اجتماعاً تنسيقياً مع هيئة الشارقة للآثار، بمشاركة دائرة التخطيط والمساحة؛ فرع المنطقة الوسطى، وبلدية مليحة، ناقش ضرورة إزالة المزارع في منطقة مليحة الأثرية، ونقل المخلفات، وتسييج المواقع الأثرية، للحفاظ عليها، وتذليل العقبات، وتسهيل الإجراءات بخصوص هذا الشأن.

وقد حسم المجلس التنفيذي لإمارة الشارقة، هذه القضية، وأصدر القرار رقم 14 لسنة 2021م بشأن إنشاء وتشكيل لجنة خاصة، لإزالة التعديلات على منطقة مليحة الأثرية، وهو ما سينعكس على حماية هذه المنطقة وجوارها، ونصّ القرار على أن تختص هذه اللجنة، بإخلاء وإزالة المزارع التي تأثرت بالتخطيط، والتي تم نزع ملكيتها، أو استردادها من الحكومة، في منطقة مليحة الأثرية ومحيطها، وكذلك إزالة التعديلات من المزارع والعزب، في المناطق المجاورة لمنطقة مليحة الأثرية؛ والتي لم تتأثر بالتخطيط، وإعادتها إلى مساحتها الأصلية، ووضع سياج يحيط بمنطقة مليحة الأثرية، وفقاً لحدودها المعتمدة، وكذلك بوابات للدخول والخروج من منطقة مليحة الأثرية، وفرض الغرامات والضوابط الإدارية الملزمة في هذا الشأن إزالة المزارع والعزب العشوائية من منطقة مليحة الأثرية؛ سيكون له الأثر الكبير في العديد من الجوانب الثقافية والسياحية والاقتصادية للمنطقة، كما يدعم ملف مليحة، لتكون ضمن قائمة التراث الثقافي العالمي لـ«اليونسكو»، وذلك لما تحتويه المنطقة من تراثٍ أثريٍّ، يعود إلى عصور تاريخية قديمة.

ويدعم هذا القرار إقامة بنية سياحية قوية وصلبة، بمواصفات لا تقبل التداخل العشوائي، كما يدعم الأنشطة ذات الأثر الاستراتيجي، ومن ضمنها المرافق الأثرية والسياحية والثقافية، وما تتطلبه من اتساقٍ ونظامٍ ومقوماتٍ وبنيةٍ تحتيةٍ متكاملة، وتوفير بيئة مثالية لممارسة الأعمال لزيادة نموها، ما سينعكس على أفضل الخدمات والمشاريع الاستثمارية والإنمائية لمنطقة مليحة؛ ولأبنائها وسكانها خاصة، والمنطقة الوسطى والإمارة عموماً.

واحة الصقارين

البراري والمساحات الشاسعة والمفتوحة لصحاري المنطقة الوسطى بمختلف مدنها وحواضرها وقراها، جعلت منها واحة مثالية لتراث تليد يحبه أبناء الخليج العربي عموماً والإمارات بشكل خاص، يتمثل في رياضة الصيد بالصقور، وقد كانت هذه البلدات قبلة دائماً للصقارين من مختلف مدن الدولة، لما يوجد فيها من سهوب ممتدة مترامية الأطراف، تحت سماء صافية تتيح رؤية مريحة للصقارين في متابعة جوارحهم، إضافة إلى مراكز نموذجية للعناية بالصقور، وعيادات بيطرية متخصصة وفق أحدث المواصفات لعلاج وإيواء الطيور والطراند الحية.

وقد أصدر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة المرسوم الأميري رقم 17 لسنة 2021 بشأن تنظيم نادي الشارقة للصقارين، ومقره ومركزه الرئيسي في المنطقة الوسطى من الإمارة، وتتمثل مهمته في المحافظة على الموروث الثقافي المرتبط بممارسة رياضة الصيد بالصقور، والتوعية المجتمعية بأهميتها وتعزيز ممارستها.

وقد سار الأبناء في المنطقة الوسطى دائماً على خطى الأجداد في تعلقهم بكافة عناصر التراث، وظلوا ملازمين لمختلف الرياضات التراثية، من موروث الهجن إلى الصقارة، التي تستقطب في مليحة سنوياً بطولات عديدة كمنافسات بطولة نادي الشارقة للصقارين «التلواح»، التي تشمل أشواطاً وفئات مختلفة تحفل بالإثارة والتنافس.

ودعم هذا المرسوم هذه الرياضة النبيلة، وكرس هذه الثقافة مجتمعياً، حيث شكلت هذه الأنشطة الموسمية مناسبة مهمة لربط الأجيال بتاريخهم العريق، من خلال البرامج الخاصة الموجهة إلى الشباب والأطفال، لتقريبهم من المكونات والدلالات الثقافية للصقارة، كما سيعطيها دفعة جديدة من حيث التنظيم والآليات القانونية والفنية، لنقلها من دوائر الاهتمام المحلي والإقليمي إلى نطاق المنافسة

الدولية، كما سيعزز المرافق الموجودة في المنطقة الوسطى سابقاً والخاصة بهذه الرياضة الأصيلة.

كما أضاف بعداً جديداً على مشهد المنطقة الوسطى الثقافي والتراثي والرياضي الزاخر، ويضيف معالم جديدة على لوحة مشهدها المتنامي، كما يصب في خدمة الرياضة والرياضيين وتشجيع الشباب وهواة التراث، ويعزز السياحة الثقافية والبيئية، وينشر هذا التراث اللامادي، المدرج في قائمة التراث العالمي، والذي يعتبر من رياضات وهوايات مجتمعات البادية التي مارس البدو منذ آلاف السنين.

مصليات العيد

يتواصل الإعمار في مختلف مناطق إمارة الشارقة، ليرسي دعائم البنية التحتية لمناطقها المختلفة، وفي المنطقة الوسطى تتواصل الأشغال لإنماء مدن المنطقة وضواحيها المختلفة، وتقريب الخدمات من الأهالي وتسهيل الحياة والخدمات العمومية، ومن هذه الخدمات، بل من أهمها، خدمات رعاية بيوت الله، حيث ازدانت المنطقة الوسطى بمصليات عديدة جديدة للعيد، حتى تكون جاهزة لإقامة هذه الشعائر الروحية في أيام فاضلة ومباركة، وتسعد أهالي أخضر وخضيرة ونزوى وتل الزعفران والطيبة، وتكون قريبة من المناطق السكنية للتخفيف على المصلين الذين كانوا يضطرون إلى الذهاب إلى أماكن بعيدة عن مناطقهم لأداء صلاة العيد.

وبهذا الإنجاز الجديد يبلغ عدد المصليات في المنطقة الوسطى 14 مصلى لإقامة صلوات الأعياد، وهو ما يقارب نصف عدد مصليات العيد في إمارة الشارقة، التي تضم ما يزيد على 31 مصلى بجميع مناطقها، ما يعكس الاهتمام الكبير بالمنطقة وحاجات أهلها ومساجدها، وتماشياً مع الخطط التنموية العامة الملبية لاحتياجات المجالس البلدية في مناطقها.

وقد رصدت مجلة «الوسطى» ملفاً متكاملًا تحت عنوان «مساجد الوسطى».. عمارة للأرض وعمارة للروح» رصد هذه الإنجازات المعمارية، المتمثلة في مئات المساجد التي تنتشر اليوم في الذيد، والبطائح، والمدام، ومليحة، وتتوزع بين المساجد الحكومية والمساجد الخاصة، ويعد من أقدمها مسجد فلج الذيد «الشريعة» الذي صاحب نشأة المدينة في العصور الماضية، حيث تم تشييده وسط مزارع النخيل القديمة في الذيد.

ووفق أرقام دائرة الإحصاء والتنمية المجتمعية في الشارقة لسنة 2023 بلغ عدد مساجد إمارة الشارقة 3092 مسجداً ومصلى في جميع أنحاء الإمارة شملت المساجد التراثية القديمة والحديثة التي شكلت أيقونات هندسية خلابة تميزت بطرزها المعمارية الأندلسية والفاطمية والمملوكية والعثمانية والمحلية والتراثية، وتضم مدينة الشارقة بما فيها الحميرية وجزيرة أبو موسى 2380 مسجداً ومصلى، فيما تضم المنطقة الوسطى 448 مسجداً ومصلى، والمنطقة الشرقية 264 مسجداً ومصلى.

هذه الصروح الروحانية تتميز في عمومها بطابعها المعماري واستلهامها من التراث المحلي، ومن أمثلة تلك الصروح الدينية في المنطقة الوسطى مسجد الذيد، الواقع على المدخل الشرقي لمدينة الذيد في منطقة العويضد، وتستوعب مساحاته الداخلية والخارجية 7000 مصلياً ومصلياً، ويحمل مزيجاً من العمارة الإسلامية الفاطمية والعمارة الإسلامية العثمانية، وقد افتتحه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة في إبريل 2023، وكذلك مسجد الشهيد سلطان بن هويدن الكتبي، الذي افتتحه صاحب السمو حاكم الشارقة، في فبراير 2020، في منطقة الطيبة بمدينة الذيد، ويعد تحفة معمارية، وكذلك مسجد سهيلة، الذي صُمم على الطراز المعماري الفاطمي الإسلامي، وقد أضفت هذه المعالم رونقاً على المشهد المعماري في المنطقة الوسطى، وجاءت متوافقة مع التطور العمراني في كل أرجاء وربوع الإمارة.

وتحرص دائرة الشؤون الإسلامية بالشارقة وبالتعاون مع دائرة الأشغال العامة بالشارقة على إجراء صيانة دورية لجميع هذه المساجد، وتوفير السكن الكريم لأئمتها، ومن ذلك إنجاز حكومة الشارقة مشروع السكن الكريم لـ 14 إماماً في المنطقة الوسطى في فبراير 2019، وبخصوص مصليات العيد يتم تنظيف وصيانة المصليات وتجهيز مكبرات الصوت الخاصة بها وفرش أرضياتها بالرمل أو تركيب البلاط، حيث يتم ذلك قبل حلول الأعياد بوقت كاف، من أجل راحة المصلين وطمانينتهم خلال أداء هذه الشعائر الطيبة.

تواصل تنموي

الناظر في سجل التنمية في المنطقة الوسطى من إمارة الشارقة، لا يخفى عليه كم المنجز من أعمال ومشاريع ريادية تستهدف جعل هذه المنطقة في دائرة المساهمة المحلية الفاعلة، بكل ما تمتلكه من خصوصية ثقافية وتراثية وأثرية وإمكانات اقتصادية وزراعية وطبيعية، متمثلة في الصحاري الشاسعة والتكوينات التضاريسية المتميزة.

تواكب هذه الخطوات الكبيرة جهود محلية حثيثة من طرف المجموعات المحلية المركزية من بلديات ومجالس بلدية وهيئات وأندية رياضية وثقافية، تعمل بكل طاقاتها لتنفيذ هذه النهضة التنموية ومتابعة سير قاطرتها على سكة العمل والرؤية المستقبلية وخط الاستدامة.

وتطلعنا التقارير الدورية على حجم العمل المبذول في العديد من المجالات، حيث تصدر هذه الهيئات تقارير فصلية ونصف سنوية، تقدم بشفافية كم الحركية الاقتصادية والإدارية وأرقام المعاملات وشكل الخدمات المقدمة للجمهور، ترافقها

إحصاءات دقيقة عن عدد الرخص والزيارات والتفتيشات، ما يقرب من آليات التواصل بين الناس وهذه المؤسسات الخدمية ويرفع من مستوى الوعي بأهمية الشراكة المجتمعية ودورها الفاعل في التنمية.

ولا يقف التواصل عند هذا الحد، حيث تعمل هذه المؤسسات على ترسيخ القيم والسلوكيات الحضارية، ومن ذلك الحملات البيئية في فترات الشتاء، حيث تشهد المناطق الطبيعية، المصانة بحكم القانون، زيارات ترسخ الثقافة البيئية والوعي بقيمة الأماكن العامة وأهمية صونها والمحافظة عليها.

كما تشهد المنطقة من وقت إلى آخر، فعاليات ولقاءات نوعية تخلق تواصلًا مجتمعيًا مباشرًا حول آليات الأمان والسلامة المطلوبة في الخروج إلى مثل هذه الأماكن، وقد كان معرض التخيم والمغامرات في الذيد الذي نظم مؤخرًا صورة لمثل هذه الفعاليات التي تجمع الناس تحت سقف واحد لمعرفة إلى أين تتجه الرؤية السياحية في مجالات السفاري والرحلات البرية، ويعرف بإمكانات المنطقة الوسطى وصحراء إمارة الشارقة في هذا المجال ودورها الكبير على مستوى الدولة في اقتصاد الترفيه المرتبط بالتخييم وأدوات المغامرات والسفر، وما يرتبط بذلك من أنشطة موازية تسهم في التنمية الاقتصادية.

الجمهور جزء فاعل وشريك تنموي قوي في النهوض التنموي، ومع هذا الحضور المجتمعي الفاعل تتعزز قوة البناء والسير إلى الأمام، لأن الجميع مستفيد من هذا التشاور وهذه الديناميكية التي تخلقها قوة التواصل الحكومي والمجتمعي الفعال وشفافية المعطيات للخروج بنتائج تنموية مثلى ومخرجات تلبي طموح الرؤية التنموية الشاملة.

أسس صلبة

تتيح مجالس الضواحي الكثير من الارتباط بين الأهالي في المنطقة الوسطى، وتلعب هذه المجالس دوراً محورياً في توثيق الصلات بين المؤسسات الحكومية ومختلف مكونات المجتمع، ونقل احتياجات المواطنين إلى المسؤولين، ومتابعة إنجاز المشاريع الموجهة للحى، والوقوف على كل ما يتعلق بحياة أهله، والاطمئنان على أن الخدمات المدنية والاجتماعية تصل إلى كل بيت وكل فرد.

وتتبع قيمة هذه المجالس من التراث الزاهي في التعااضد والتعاون والمودة وصلة الرحم وتفقد الجار، ما يجعلها واسطة عقد فريد بين تقاليد الأمس ومستقبل قائم على أسس صلبة، حيث تربط عرى وثيقة بين الأجيال وقيمها وبين الأرض وجذورها الأصلية، وبين المواطن والمسؤول.

وفعاليات الأهالي المجتمعية في المنطقة الوسطى لا تقف فقط عند مجالس الأحياء، لكنها أيضاً تألفت في الفعاليات المجتمعية، حيث أزهرت مجموعة من المهرجانات الشعبية في المنطقة الوسطى، كان آخرها كل من مهرجان المدام، ومهرجان البطائح في نسخ متجددة جمعت الناس في مكان واحد لخلق شراكات مجتمعية، وأضفت حركية اقتصادية للأسر والمزارعين وأصحاب المشاريع الصغيرة والنوعية، ورافقتها استعراضات تراثية من ذاكرة المجتمع وفنونه وأشعاره، كما أضافت طابعاً من الترفيه والمرح موجهاً للأطفال، كما لم تُفوت المؤسسات الحكومية هذه الفرصة لتواصل أكثر فاعلية مع جمهورها عبر هذه الملتقيات، بل نصبت منصات مباشرة للتواصل مع الجمهور وتقديم برامجها المجتمعية التي تصب في صلب التنمية والبناء المجتمعي.

التنمية المجتمعية تأخذ أوجهاً عديدة، وتتكامل مع التنمية الثقافية والتراثية، إذ لا يمكن للمجتمع أن يتجزأ وينفصل عن عناصره المعنوية والوجدانية والفكرية،

لذلك تعمل كل هذه المحركات من أجل بناء مجتمع قوي ومتماسك ومتعاقد ومعتز بهويته المجتمعية وتكافله التليد.

ويستمر الدعم من أجل تنمية مجتمعية بعيدة المدى، في الوقت الذي جاءت فيه الموازنة العامة لإمارة الشارقة لسنة 2022 بإجمالي نفقات يبلغ نحو 34.4 مليار درهم، من أجل تحقيق الرؤية الاستراتيجية للإمارة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعزيز الاستدامة، وقد جاء قطاع التنمية الاجتماعية في مرتبة متقدمة، حيث شكلت أهميته النسبية نحو 21% من إجمالي الموازنة العامة بنسبة زيادة مقدارها 3% عن موازنة 2021، وذلك من أجل توفير أفضل الخدمات والدعم والمساعدة الاجتماعية لقاطني الإمارة، بكافة مناطقها ومدنها وضواحيها.

إنجازات رياضية

إنجازات رياضية مميزة قدمتها الأندية الرياضية في إمارة الشارقة، وقد خاضت أندية المنطقتين الوسطى والشرقية منافسات احترافية، في العديد من البطولات الوطنية والدولية، كان من أبرزها الأداء الجيد لأندية كرة القدم في «دوري أدنوك للمحترفين»، وتألق سباحي نادي الذيد في بطولة كأس الإمارات المفتوحة، وفوز نادي البطائح بكأس الإمارات لكرة قدم الصالات، وتصدر نادي المدام في دوري الإمارات للقوس والسهم، وكسب سيدات نادي مليحة وصافة بطولة كأس صاحب السمو رئيس الدولة للتايكوندو، بعد كسب النادي ميداليات مُعتبرة في بطولة كأس العرب، وتقف وراء هذه الإنجازات مجتمعة إرادة قوية، ورؤية رياضية لبناء الأندية وتمكينها، وإعداد لاعبين محترفين، يتم تأسيسهم وتطويرهم، عبر مختلف الفئات السنوية، لتمكينهم من الاحتراف، وحصد الكؤوس ونيل المراتب الأولى في البطولات والمنافسات.

وكما قال صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، خلال استقباله وتكريمه الفريق الأول بنادي الشارقة لكرة القدم، المتوج بكأس صاحب السمو رئيس الدولة 2023: «إن ما يقدمه اللاعبون في مختلف الفرق والأندية يمثل قدوة للاعبين الناشئين من الأجيال الجديدة». وقد حض سموه على اللعب بمسؤولية أخلاقية والتنافس الشريف والروح الرياضية ومواصلة الجهود الكبيرة لتطوير الألعاب والأندية، لتحقيق المردود الطيب المراد والمنتظر.

إن مسيرة الرياضة في الشارقة، ترسم صورة لمسار الأندية وتطورها، وفق الأهداف المرسومة لتربية النشء وتقديم القدوة الحسنة للأجيال، وتقديم كفاءات رياضية في مختلف الألعاب، تمثل الوطن وتلعب باسمه، لذلك كانت استراتيجية الإمارة الثقافية والرياضية حاضرة في تطوير الحواضن الرياضية، ممثلة في الأندية الثقافية الرياضية، بكافة هيكلها ومرافقها وملاعبها وقيمتها ورؤاها وأهدافها المؤسسية، فكان ذلك هو السر وراء نتائج وتطور الأندية، ورفدها للفرق الوطنية بخبرة اللاعبين في مختلف الألعاب الفردية والجماعية، وتقديم مستويات فنية متميزة ساهمت في تطوير قطاع الرياضة.

كما اتجهت رؤية الشارقة إلى أبعد من ذلك، من خلال تنظيم المؤتمرات النوعية في مجال الرياضة، وتأسيس الأكاديميات المتخصصة، فضلاً عن التدريب والتكوين والتأطير الرياضي على مستوى عالٍ، لتطوير منظومة العمل الرياضي، ومن ذلك إنشاء جامعة كلباء، والتي ستنجح مجموعة متنوعة من التخصصات الأكاديمية الجديدة في مجالات الرياضة والصحة البدنية، وإعداد خبراء العلاج الطبيعي وعلوم الحركة، والإدارة الرياضية، والتدريب الرياضي وغيرها، كما ستضم أحدث المختبرات في مجال التأهيل الرياضي والمساح المغطاة والملاعب في مختلف الرياضات.

{6}

نحو الإنسان

بصمة على الإنسان والمكان

التنمية والإعمار رهانان كاسبان، ينسجمان مع فطرة الإنسان وطبيعة الكون ومبدأ الاستخلاف في الأرض منذ فجر التاريخ، خاصة حين توظف مقدرات الطبيعة وعوائدها لخدمة الناس. وكان الإنسان دوماً هو المحرك الأول لكل الطاقات وعماد التغيير على وجه البسيطة، وفي المنطقة الشرقية بإمارة الشارقة، والتي تميز إنسانها بالإرادة والجد، ككل أبناء الإمارات، فرضت التضاريس لفترة طويلة نمطاً من العزلة، نظراً لوعورة الجبال ومشقة شعابها ومسالكها، غير أن ابن الأرض طوعها وفق وسائله وإمكاناته عبر الحقب.

من الشارقة يعبر من صحراء المنطقة الوسطى متجهاً إلى المنطقة الشرقية طريق خورفكان الجديد، الذي يعد أنموذجاً مميزاً للبناء، يفك العزلة ويختصر الزمن ويصنع فارقاً إيجابياً في مؤشرات التنمية، فاتحاً درباً للنماء يقهر الطبيعة، مستعيناً في مساراته بأنفاق مرورية، اخترقت عمق صخور الجبال وقربت المسافات.

فهذه المناطق مزدانة ببريقها التاريخي الأخاذ، ومقدراتها السياحية المعاصرة المتنوعة، وموقعها الاستراتيجي الفريد، تفتح ذراعيها لمسارات تنمية جديدة، من خلال هذه الطرق والمشروعات، والبنى التحتية المرافقة لها، والتي تشمل استراحات وحدائق عامة ومساحات خضراء وسدوداً وأنفاقاً طويلة في الجبال.

وقد أنجزت في المنطقة الوسطى العديد من مشروعات الطرق، اختصرت الفوارق الزمنية، وكان لها نتائج اجتماعية وتنموية جمة، ستحت حركة الناس والبضائع، وتوفر الكثير من العوائد على سكان المناطق التي تمر بها، وأقيمت وفق أعلى المعايير ومواصفاتها العالمية، وبإشراف كامل من دائرة التخطيط والمساحة وهيئة الطرق والمواصلات في الشارقة، ومتابعة كريمة وحثيثة من صاحب السمو حاكم الشارقة.

وتضع المقاربة التنموية لإمارة الشارقة - دوماً في الحسبان - آليات لوجستية تربط الجسور بين السياحة والمقدرات الأثرية لهذه المناطق والمدن، والتي تمتلك مواقع معروفة بتراثها العريق، تحيط بها منتجعات وفنادق، وتتطلب مثل هذه الوجهات طرق وبنى تحتية ذات مواصفات سلسة وأمنة، ومرافق صلبة ومستدامة بهذه البنية التحتية تتجه إمارة الشارقة نحو المستقبل، وهي تراعي الموروث العميق للمكان، فتمكن الإنسان وتصون البيئة، وتخدم المجتمع وتسخر طبيعة الأمكنة ومفرداتها، وتيسر رفاهية التنقل والاستجمام للناس، وتضع بصمتها الإنمائية على التضاريس الخاصة والطبيعة القاسية للجبال الصامدة منذ الأزل، وسيكون لها الأثر الكبير على سكان هذه المناطق والتجمعات، من ناحية الاستقرار والعمران الحضري والتنمية المحلية والاقتصاد البيئي.

النهضة والتمكين والعرفان، هي أقرب العناوين المعبرة عن فرحة الأهالي بهذه الإنجازات، التي سهرت عليه فرق فنية وهندسية، وطنية ودولية، ذات كفاءة عالية، وصلت الليل بالنهار، لإكمال هذا المشروعات كشریان تنموي وحضري، وما لذلك من أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإنمائية في هذه المناطق من إمارة الشارقة.

بشارات وإنجازات

تتوالى البشارات والإنجازات، والتي تهدف لتمكين الإنسان، وجودة حياته في كافة ربوع إمارة الشارقة، التي سخرت كافة الامكانيات لخدمة الإنسان والارتقاء به، واهتمت بتوفير كافة مقومات الحياة الكريمة والسعيدة لمواطنيها، وفي المنطقة الوسطى، كباقي مناطق الإمارة، أقيمت حزمة من المشاريع التطويرية والتنموية غيرت وجه المنطقة الوسطى تغيراً جذرياً على مختلف المجالات والأصعدة، ووفرت العديد من المرافق الحيوية التي تخدم التنمية.

فقد وفر مشروع الزراعة المحمية 1750 طناً من الخضار الصحية والنظيفة، حيث أقيم على مساحة 70 ألف متر مربع، إضافة إلى مشروع الألبان الذي يخدم شريحة كبيرة من أفراد المجتمع، وكذلك إنشاء مشروع أكاديمية العلوم بالمنطقة الوسطى المختصة بالزراعة وعلم البيطرة وعلوم الصحراء.

كما أزدانت المنطقة الوسطى بمسجد الذيد وكذلك مسجد الشهيد سلطان محمد بن هويدن الكتبي، وكذلك مركز الذيد للحياة الفطرية الواقع مقره في البردي بالذيد، وهي كلها مشاريع موجهة نحو الناس، وتصور بيئتهم وتحافظ على قيمهم وعاداتهم، التي يحرص حاكم الشارقة على ترسيخها مجتمعياً ويؤكد دائماً على إبراز هذه العادات والقيم الأصيلة والافتخار بها.

وهي إنجازات ترتقي بالحياة في المنطقة الوسطى، وتحافظ على البيئة والتقاليد، التي تتعدد ملامحها في المنطقة كفضاء بيئي يفوح بالطمأنينة والسلام، وتدلل على ثراء موروث مدنها، وسيرة الخالدين في ذاكرتها، ولسان ولهجة أهلها، والمشرب العذب من مختلف مناهلهم الثقافية.

حكاية تحدٍ وإرادة

لقد تم التغلب على قساوة الطبيعة بإرادة الإنسان، وحولت هذه المعوقات والتحديات إلى فرص، والإمكانات الطبيعية إلى موارد مستدامة، فوديان المنطقة الوسطى واعدة، وقد تم تجهيزها كمحميات برية ومراع طبيعية ووجهات سياحية بين الرمال وفي سفوح الجبل، تغمس باسقات النخل ذوائبها في مائها النмир، ومن الوجهات الهادئة والمحبة للزائرين والسائحين، التي تدل على قوة إرادة أهل المكان سريعة الذيد وأفلاجها، حيث تتدفق منها المياه العذبة التي تروي المزارع، وكلها ثروات طبيعية تحمل كافة مقومات الجذب السياحي للزائرين من داخل الدولة وخارجها، لما تتمتع به من هواء نقي وهدوء وصفاء جو وجمال.

وقد تعب الأجداد في شق هذه القنوات وهذه الأفلاج، ما يعبر عن قوة الإرادة، وفي الوقت الحاضر شاهدنا في المنطقة الشرقية من إمارة الشارقة قصة تحدٍ كبيرة وإرادة لا تلين، حيث قدمت الإنجازات في شيص حكاية شبيهة، عمادها الإنسان أين ما كان، فالطبيعة القاسية للجبال عزلت سكان هذه المنطقة لفترة طويلة، وكانت المعاناة كبيرة لأهلها، لأنهم كانوا ينقلون مرضاهم، ولا يستطيعون الوصول إلى المدن أو المستشفيات، إلى جانب عدم توافر الخدمات، نظراً لوعورة التضاريس.

وكما قال صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، «هذا الجبل بيني وبينه تحدٍ»، ففي حديث سموه عن الصعوبات التي واجهت فكرة إنشاء طريق خورفكان الجديد، الذي قدم خدمات جليلة لأهالي شيص والمناطق المجاورة لها، أورد سموه أن شركات البناء ترددت، بسبب وعورة الطبيعة، فكانت إرادة وتحدي سموه الدافع الأكبر لإقامة هذا المشروع. وقال: «منذ عامين ونحن نتردد على هذا المكان، سواء كان من ناحية خورفكان أو من ناحية شيص، والمهندسون يقولون: هذا المشروع مستحيل، كل شيء ممكن إلا هذا الجبل، فقلت لهم: هذا الجبل أعرفه جيداً، يتحداني من الأرض ويتحداني من

السماء.. فخلال زيارتي السابقة عدة مرات، كنت آتي بطائرة مروحية تابعة لوزارة الداخلية، حتى إذا وصلنا إلى هذا الجبل، كان يمنعني من العبور، فتأتي رياح قوية تدفع الطائرة إلى الأعلى، فهذا الجبل بيني وبينه تحدّ..».

وفي آخر زيارة لسموه لشيص، قبل افتتاح طريق خورفكان الجديد، قال سموه لوالي شيص: «المرّة المقبلة لن آتيك من الطريق المعروف؛ بل سأتيك من هذا الجبل، فقال والي شيص: يا شيخ سلطان، لم يمرّ أحدٌ من هنا من قبل، وما وطئت أقدام البشر هذا الجبل من قبل. فقلت: بإذن الله وبقدرته سوف ننجح، ولو شققنا الطرق في الجبال التي تفصل شيص عن باقي المناطق، فسنكون قد وصلنا إلى خورفكان، فأجابه والي شيص: ستكون تكلفة عالية، فقلت: مهما كانت التكلفة، ولو وضعنا فيها كل ميزانية الشارقة».

وهكذا تم فك العزلة عن أهالي شيص، فرغم الكلفة الكبيرة للمشروع وصعوبة العمل فيه، نظراً لجبال المنطقة المتراسة الشاهقة، فقد كانت خدمة أهاليها فوق كل ذلك، واليوم تربط الطرق المعبدة مباشرة بينهم وبين الشارقة وخورفكان، ما يؤسس لتنامي الأنشطة لسكان هذه المنطقة، التي تعتمد على ثروة زراعية طبيعية غنية، فمزارع شيص تعتبر من أشهر المزارع في المنطقة الشرقية، زادها مخزون عذب من الأفلاج والمياه الجوفية النقية، والينابيع التي تشق طريقها بين الصخور والواحات.

العيش الكريم

بعد سنة خيمت فيها أجواء الجائحة وما فرضت من متغيرات دولية، كان عام 2021 عنواناً للإنجازات والعطاء والمكرّمات الموجهة للإنسان وصون كرامته وتوفير العيش الكريم له، حيث صدرت قرارات كانت محور العمل الحكومي في

إمارة الشارقة، أساسها تحسين أوضاع المتقاعدين، وتعجيل وتيرة التوظيف في القطاعين الحكومي والخاص، وتأهيل الخريجين وتوجيه الباحثين عن العمل، وقد حيث كان عام الرعاية الاجتماعية والتركيز على الإنسان بامتياز، إذ تحركت كافة الدوائر الحكومية من أجل تحقيق توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة بتوفير 1000 وظيفة عام 2021 للباحثين عن عمل، وإحلال 300 وظيفة، وقد تجاوزت المؤسسات هذا الرقم، إذ تم تعيين 1672 باحثاً وباحثة عن عمل، في القطاعين الحكومي والخاص، منهم 444 في المنطقة الوسطى، وفقاً للتخصص وحاجة الجهات الحكومية وشواغر المشاريع المختلفة التي تم إطلاقها بالمنطقة مثل سفاري الشارقة والضواحي الجديدة والحدائق والبلديات وغير ذلك.

كما أشرف صاحب السمو حاكم الشارقة، شخصياً على ملف التوظيف، من خلال لجنة معالجة طلبات الوظائف، التي تضم دائرة الموارد البشرية ودائرة الخدمات الاجتماعية ودائرة الإحصاء والتنمية المجتمعية، مع مراعاة أولوية الحالات وتوظيف خريجي الجامعة من أبناء المتقاعدين.

بخصوص التقاعد، نفذت المرحلة الأولى من «مشروع سلطان للعيش الكريم»، والتي شملت زيادة رواتب المتقاعدين، وراعت حقوق هذه الفئات التي خدمت العمل التنموي، وكانت جزءاً من محركات البناء، وقد استخدمت آليات دقيقة لقياس وتحليل البيانات الخاصة بالمتقاعدين، ودراسة أحوال كل بيت، ومصاريفه، ومعرفة مستوى الرفاه وخط الفقر، وهي قياسات عالمية لتحسين الأداء والتدخل المدروس، كما تمت معالجة أوضاع 4 آلاف متقاعد ومتقاعدة؛ وذلك وفقاً للبيانات التي أظهرتها الإحصائيات التي يجري تحليلها، وقدرت ميزانية تعديل أوضاعهم على مستوى الإمارة بـ 250 مليون درهم سنوياً.

لقد راعت هذه القرارات التي تمس صميم الحاجات الإنسانية، كبار السن حين عالجت ملف المتقاعدين، كما راعت الشباب واليد المجتمعية النشطة، حين بحثت عن الحلول وتوفير الفرص الوظيفية الكريمة للخريجين والباحثين عن عمل، وهي كلها توجهات هدفها استقرار الإنسان وتأمين العيش الكريم له، في إطار مجتمعي قوي و متماسك، ولقد كان تحرك كافة المؤسسات لتحقيق هذا الهدف النبيل إنجازاً وابتكاراً للحلول، وتغلباً على التحديات، وكما قال سلطان الخير؛ «من الناس من يعتقد أن هذه المشكلات تُعدُّ «هموماً» على المسؤول، وإنما هي في الحقيقة «إنجازات» يشعر بها بعد معالجتها وليست هموماً».

وما الوظائف والحالات الإنسانية والتخفيف عن أصحاب المغارم إلا جزء من ذلك التمكين المجتمعي الفريد، الذي يعد أنموذجاً تقدمه إمارة الشارقة، ويستقي من منظومة تركز على الإنسان وتوجه استراتيجياتها التمكينية نحوه.

تمكين وريادة

المعرفة محطة مهمة ورئيسة في بناء الإنسان ونهضة الأمم والتنمية المستدامة، وهي إحدى الوسائل الأساسية لبناء بنية تحتية معرفية وعمرانية قوية، وتأتي المنشآت التعليمية الأساسية والمتوسطة والأكاديمية في مقدمة الصروح التأسيسية لهذه النهضة الثقافية والتنموية، وقد كانت هذه الجهات العلمية حاضرة في استراتيجيات إمارة الشارقة الثقافية، من أجل التمكين والريادة، وصناعة حضور مختلف، وبناء إنسان يستطيع أن يواكب المستقبل باقتدار.

من المنشآت المعرفية الرائدة في المنطقة الوسطى المراكز والكليات الجامعية في الذيد، التي تعد من الإنجازات الأكاديمية النموذجية، التي تستجيب لمتطلبات

المنطقة والعصر، وتحمل صنوف العلوم لتقربها من الأهالي، قرب ديارهم، وفي متناول أبنائهم وبناتهم، لارتقاء قمم النجاح، والاستفادة من تعليم عصري، وفق معايير الأكاديمية الدولية، يجعلهم على قدر التحديات، لبناء منطقتهم والتسلح بالمعرفة والمهارات اللازمين.

وقد فتحت هذه الصروح الجامعية الفرص أمام الكثير من الطلبة والطالبات في مدينة النيد، لإكمال تعليمهم العالي، كما فتحت الباب، أمام قاصديها من الأماكن الأخرى للاستفادة من إشعاعها العلمي، وهي في خطتها وبرامجها، جزء من رؤية متكاملة، تعمل في مختلف أرجاء الإمارة، لتعزيز مخرجات التنمية المعرفية، التي هي مفتاح الريادة، التي لا يصنعها سوى الإنسان المتمكن والمتعلم والواعي، وهو يخوضها، ويضيف لنفسه ومجتمعه الكثير من المكاسب والنجاحات والرفاه.

نحو الإنسان..

حين يحضر الإنسان، تملو الهمة والغاية وتسمو، وتهون الصعاب مهما كانت، وتبدو الأهداف البعيدة قريبة، والمستحيلة ممكنة، وتسهل المهمات وتُرى يسيرة قيد التحقق، فنبل المقصد والغاية يحرك الأمل والطاقت ويصنع استثناءات ونتائج فارقة على مستوى العمل والإنتاجية والإنجاز والنجاح.

في المنطقتين الوسطى والشرقية من إمارة الشارقة، تنتوزع ورش الأشغال في المدن والبلدات والضواحي، والخيط الناظم لكل هذه المشاريع هو الإنسان، فالطرق والجسور والأنفاق ومقومات البنية التحتية الصلبة، كلها لتوفير وتسهيل الحياة والخدمات ومبتغيات الناس في مشاغلهم اليومية، ففي هذه المدن التي حاصرتها الطبيعة وطوقتها الرمال والجبال لفترة طويلة من الزمن، كان فك العزلة عنوان

الإنتاج، فمحوره الإنسان، والمبتغى تقريب الخدمات منه، بعد أن كان يعاني العزلة، لقد ظل الإنسان في هذه المنطقة لفترة طويلة من الزمن حبيس التضاريس القاسية، تحجب عنه أبسط الوسائل، وكان الناس يمضون أياماً وهم في طريقهم إلى المستشفيات وإلى المدن القريبة، ولم يك أهلها يتصورون يوماً أن هذه الرمال وهذه الجبال يمكن أن تتحرك، يعتقدون أن هذا الواقع قدر سيزيفي عليهم التعايش معه إلى الأبد.

وقد رأينا كيف تغيرت مدن المنطقة، وتحركت التجهيزات العملاقة، والآليات الهندسية، والفرق التي سهرت من أجل اكتمال المشروعات فيها، وكان هدفها الإنسان وتحسين ظروف حياته.

حين نطالع المشاريع العامة، ذات النفع العام الحالي والمستقبلي، نجد السدود والمحميات والمراعي، وهي كلها مشاريع تصون الموارد الطبيعية، وتديرها بشكل أمثل، وتحمي المقدرات البيئية، بكل ما تحمل من خصوصية وتفصيل، تراعي الثروات الطبيعية وتوظفها لصالح الناس.

في قلب مدن المنطقتين الوسطى والشرقية، نجد المستشفيات والمراكز الصحية ومراكز الإعاقة وفضاءات الثقافة والرياضة، وهي كلها موجهة للناس، وتضم مرافق متنوعة بأفضل المعايير تلبي احتياجات مختلف الفئات.

كما بنيت المساجد وشيدت الطرق والحدائق والمرافق السياحية الخدمية والمماشي والمكتبات وفضاءات الترفيه والثقافة والفنون ومجالس الأدب ومراكز وملاعب الرياضة، وهي كلها لراحة الناس وتنويع أجواء الترفيه وتشجيع المحافظة على صحتهم الذهنية والروحية والبدنية، وكذلك المتنزهات والبيادين، التي هي صورة من الصور المعمارية الجميلة للمدينة الحديثة، لكنها في عمقها الحقيقي، متنفسات واستراحات وفسحة للمتزهين والزائرين والعاشرين، تمنحهم البهجة والحبور.

محتويات الكتاب

2	توطئة من التصحيف إلى التأليف
4	تقديم في رحاب الصحراء
7	الذيد.. الحاضرة الكبرى
7	آفاق جديدة
8	من الحصن إلى الواحة
10	القلب النابض
11	حُق للذيد أن تحتفل
13	مشاهد من الذيد
14	في قلب العالم
16	الوجه الجديد
18	مشاهد ومعالم
18	مع سلطان الثقافة
20	أبجدية الشارقة
21	تكامل التاريخ
23	فنون الصحراء وفُتونها
25	في عيون الإعلام
27	احتفاء عالمي
29	مشاهد معمارية
30	تنمية ثقافية
32	بالكلمة والصورة

33	أجندة ثقافية
35	محركات التنمية
36	جماليات الأمكنة
36	أفق الشمس في البداير
38	رحلة في الفاية
39	منارات مُنمنمة
41	أجمل شتاء
42	الحديقة الجيولوجية
44	سياحة بيئية
46	وجهُ المطر الحسن
47	جوهرة الرمال
49	وُجّهات ومُغامرات
51	سنابل الخير
51	نهج الاستدامة
52	أمن غذائي
54	سنابل الخير
56	زراعة صحية
57	رؤى التطور
59	حراك حيوي
61	في خضم التطور
61	مدارس الصحراء
63	مجالس الوسطى
65	تكاتف الوقت الاستثنائي

66	قيم النفع العام
68	العودة الآمنة
70	أنفاس ونسمات
71	استثمار في الغد
72	ما يليق بمليحة
74	واحة الصقارين
75	مصليات العيد
77	تواصل تنموي
79	أسس صلبة
80	إنجازات رياضية
82	نحو الإنسان
82	بصمة على الإنسان والمكان
84	بشارات وإنجازات
85	حكاية تحدٍ وإرادة
86	العيش الكريم
88	تمكين وريادة
89	نحو الإنسان